

# نسيم النفحات

في ذكر جوانب من أخبار

توات

ومن دفن فيها من الأولياء

والصالحين

شيخنا و

أبي عبد الله أحمد

إدريس

والعلماء للعاملين

تغمده الله برحمته وأسكنه

فسيح جنانه ءامين بجاه جده النبي

الأمين المتوفى يوم

والأربعاء 8 ذي القعدة عام

1399هـ

الموافق 10 أكتوبر سنة

1979م

رحمه الله تعالى

ءامين

بسم الله الرحمن الرحيم  
وصلى الله على سيدنا محمد وعاله وصحبه  
والتابعين وسلم تسليما كثيرا

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقى إلا بالله عليه  
توكلت وإليه أنيب الحمد لله الذي أكرم من شاء من  
عباده الصالحين بكرامة الولاية وخص أولياء هذه الأمة  
المحمدية بكرامات أوفر مما أكرم به جميع الأولياء  
السابقين من الأمم على ممر العصور وأحى بذكره  
قلوب أوليائه ونورها بأنوار التوحيد وجعلها مطالع  
شموس المعارف بأنوار الوجود ونشر على ساحتها  
أعلام الولاية وأكرمهم بالكرامات العظام الشاهدة لهم  
بالصدق وحسن الاستقامة والولاية والقرب وصدق  
الحال فأظهر الله على أيديهم خوارق العادات فلا  
ينكرها إلا أعمى البصيرة محروم قد عزل عن جانب  
التوفيق ومال عن سنن عقيدة أهل السنة والجماعة  
إلى اعوجاج عقيدة أهل البدع والاعتزال نعوذ بالله من  
الخدلان والجدال والصلاة والسلام على أفضل النبيين  
 والمرسلين سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد الصادق  
الوعد الأمين الذي أعطاه الله وحده أكثر مما أعطى  
جميع الأنبياء والمرسلين وأصلي وأسلم على آله  
وصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد /

فإنه لما ساقنتي الأقدار إلى أرض توات تلك الأرض  
الطاهرة الطيبة المملوءة بالصالحين والأولياء الأحياء  
والأموات ووجدت بها ضالتي المنشودة فكسرت بها  
عصا الترحال في أحسن حال وأنعم بال وأما بنعمة  
ربك فحدث فاستقام لنا بها المقام في أطيب عيش  
وأرغده في غاية المجد والاجتهاد في التدريس آناء  
الليل وأطراف النهار وتعليم أولاد المسلمين من كل  
الطبقات لأننا وجدنا بهذه البلدة الطيبة والتي توسمنا  
فيها الأرض التي يخرج نباتها بإذن ربها وتوسموا فيها  
هم بدورهم نعم الزارع والمعلم النافع والمجدد المصلح  
والطبيب الذي يعالج الأمراض بأنجع الدواء فاتفقت  
الإرادتان واجتمع الرأيان وجمعنا على ذلك الرحيم  
الرحمن وأقمنا على هذه الحالة والطلبة يرحلون إلى  
مدرستنا من كل حذب وصوب حتى من الأقطار البعيدة  
والشاسعة والناس يفدون علينا للإفتاء والتبرك  
منقادون لأوامرنا عاملون بنصيحتنا التي نبذلها لهم  
بكل صدق وإخلاص في كل المناسبات وفي الدروس  
التي نلقيها على العام والخاص ولاسيما في مدرستنا

الخاصة بنا المسماة بالمدرسة الطاهرية العتيقة الحرة  
الكائنة وسط قصور سالي التي سنتعرض لذكرها عندما  
نتكلم على قصور سالي إن شاء الله تعالى. وهي التي  
تغذي الطلبة بمناهل العلوم والمعارف المختلفة بأنواع  
الفنون العلمية

وإطعام الطعام للمساكين وأبناء السبيل والأمر  
بالمعروف والنهي عن المنكر والمقاومة للبدع وأهلها  
والإصلاح بين الناس والنصيحة لهم وإيقاظهم من  
الغفلة وتنبيههم على دسائس الاستعمار ومكائده

والناس منقادون سامعون لقولنا عاملون به رغم ما  
نشاهده من غيظ المستعمر وخنقهم وحقدهم علينا  
وفي كل وقت يزداد غيظهم علينا ولا سيما عندما  
شاهدوا في المدرسة أعدادا كثيرا من الطلبة

في مدة يسيرة فكلما زاد إقبال الطلبة والناس علينا  
يزداد حقدهم ويتربصون بنا الدوائر وعندما

نقول ولو شيئا قليلا فإنه يشتد بذلك حقدهم  
وعداوتهم لنا فلم نزل على ذلك وهم على ما هم عليه

من العداوة والبغضاء حتى قامت حرب التحرير  
الجزائرية التي لم يبق أحد من الشعب الجزائري إلا ذاق

الأمرين ولا سيما أعيان الشعب وضاق الخناق على  
المستعمر الفرنسي وعندها حاول أن يفصل الصحراء

عن القطر الجزائري والمغرب ومالي وأن تكون  
الصحراء منفصلة تحت راية فرنسا يسيرها الصحراويون

بأنفسهم بزعمهم الكاذب وخديعتهم المكشوفة فكلفوا  
بهذه المهمة القبيحة الذميمة الشنعاء المفتون محمد

محمود بن الشيخ قاضي تنبكتو صاحب أظواد فشمروا  
عن ساق الجد كما أن الفرنسيين بذلوا له العطايا

الجزيلة وجعلوا رهن إشارته أنواع المراكب من طائفة  
فما دونها وسهلوا له أنواع المواصلات والتسهيلات

وأنواع التعظيم ونفوذ الكلمة وصار يسير مرة من دكار  
عاصمة السينيغال وتارة إلى باماكو عاصمة مالي

وأخرى من الجزائر إلى فرنسا لهذا الغرض ولا يتكلم إلا  
مع الشخصيات البارزة من الحكام الفرنسيين وصار

يجوب الأقطار الصحراوية لهذا الغرض ويغري الناس  
ويلبس عليهم بالخطب الطنانة المسمومة فغذى كثيرا

من تنبكتو والحوض وأظواد والتوارق وكثيرا من أهل  
الحل والعقد من الصحراويين حتى أوقعهم في هذه

الشَّرِكِ المنصوبة لهم من حيث لا يعلمون فوقَّع له كثيرا من أهل الحل والعقد على وثيقة كانت معه على أن الصحراء يجب أن تكون منفصلة عن الجزائر والمغرب ومالي وهكذا حتى وصل إلى توات فسبق منا لما يعلم هو وغيره أن أهل تلك الناحية تدين لنا وتابعة لأمرنا في كل ما نشير عليهم به من الأمور الصالحة ولما جاءنا هو وحاكم رقان وعرض علينا هذه الخطة بقوله إنني قدمت من تنبكتو ونواحيها الصحراوية لغرض مهم كلفتني به الحكومة الفرنسية وفيه مصلحة للحكومة ومصلحة لنا نحن الصحراويون وهو أن نظر الحكومة اقتضى أن تكون الصحراء منفصلة منقطعة عن الجزائر وغيرها وأن تكون تحت راية الجمهورية الفرنسية وكنوزها وخيراتها تصرف في مصالح الصحراويين على المساواة ويجب علينا نحن الصحراويون أن نتنبه ونعلم أن الصحراء ملك لنا لا لغيرنا وها أنا سبقت منك أنت لأن أهل هذه الناحية تعمل برأيك وإشارتك وتابعة لك وأريد بأمر من الحكومة أن تذهب معي إلى جميع القواد وأهل الحل والعقد حتى تعرفهم بهذا الأمر المهم ويوقعوا على هذه الوثيقة وما فيها من الشروط والتي وقع عليها إخوانهم الصحراويون، فعلمت أن هذا مكر وخديعة وحيلة وأمر خطير فطلبت منه السماح وأظهرت له بآنس مريض فزجرني الحاكم الفرنسي وقال لا بد أن تذهب مع القاضي السيد محمد محمود بأمر من الحكومة الفرنسية حتى يقوم بهذا الأمر وتعرف به أنت الناس فما وسعني إلا أن أذهب معه وكان في ذهابي معه خير كثير لأنني أعرف به في الظاهر وفي حضرته وأحذر منه الناس في الباطن وفي غيبته حتى فشلت عليه خطته

من أولها إلى آخرها. ولما ظهر لنا بأن هذه فتنة يقصد بها قلب الحقائق وباطل في صورة الحق فتحرك منا ما كان ساكنا وبرز منا ما كان كامنا غيرة على الإسلام والمسلمين والوطن والدين فأقول لأهل لمن كان من أهل الحل والعقد من أكابر الناس إن محمد محمود إنما هو جاسوس لفرنسا وفتنة وخائن للوطن والمواطنين ولا تغتروا به ولا تكونوا كالذين غرهم ودلاهم الشيطان بغروره ولولا عناية الله ولطفه

وحفظه لنا لوقعنا في حبالته لأنه لما جاءنا وطلب منا ومن قائد سالي التوقيع قلت له مظهرا النصح والرضا لما جاء به إن التوقيع ينبغي في نظري أن يؤخر حتى تعرف الناس بهذه المهمة ليكون التوقيع دفعة واحدة وأما توقيع كل واحد منا فإنه ربما يعرقل هذا الأمر فاستحسن هذه المقالة وشكرنا عليها مع الحاكم الفرنسي الذي لا يفارقه في هذه الجولة الطويلة التي زرنا فيها كل قائد وجماعته ولما انتهينا منها ورجعنا إلى أدرار الذي هو مركز الحكومة الكبير طلب منا محمد محمود أنا والسيد الحاج أحمد بن الحاج قاسم لأنه كان من رؤساء الأعيان التوقيع ليقع الناس بعدها فقال له الحاج أحمد ومن كان حاضرا معنا من الجماعة إننا نطلب منك أن تترجم لنا هذه الوثيقة والشروط التي فيها عند الحكومة لتأملها ولنعرف الناس بما فيها ونجعل منها نسخا متعددة وعندها يقع التوقيع دفعة واحدة وبعدها ندفع منها للحكومة نسخة موقعة وهذا هو المقصود عندك فاستحسن هذا الكلام وأخرج لنا نسخة منها فواعدناه على دفعها للحاكم بعد توقيعها من طرف الجماعة الذين يعينهم الأمر وقال للحاكم إن الوثيقة ستوقع عن قريب ويأتون بها إلينا فعندها ودعنا وذهب فلما طال انتظار الفرنسيين لها وسألوا عن الأمر قال لهم بعض المفتونين إن فلانا يقصدني أنا هو الذي عرقل التوقيع وكان يقول للناس إن محمد محمود جاسوس وخائن ولما بلغهم هذا الخبر قامت قيامتهم وجاءني الحاكم العسكري لمحلتنا ففتش الدور والمدرسة وكتب الطلبة كتابا وكتابا ومساكنهم لما بلغهم أننا على اتصال مع الثورة والجهة والجنود المجاهدين ونجمع لهم المال فألقوا علينا القبض لأنهم كانوا دائما يتربصون بنا الدوائر ويتحينون بنا الفرص فأخذوني تحت حراسة مشددة من اللفيف الأجنبي إلى مركز رقان ولا تسأل عما أهانني به ذلك الحاكم من الإهانة وبعدها قال لي ارجع إلى محلك وبعد ثمانية أيام ارجع إلينا هنا وفي تلك الأيام كنا نتأهب إلى الذهاب إلى حج بيت الله الحرام وبعدها ذهبنا فرارا بأنفسنا من بطشهم وإهانتهم ولكن نحمد الله الذي نجانا من القوم الظالمين ولما قضينا الحج وزيارة قبر الرسول الأعظم ﷺ أقمت بالحرمين الشريفين وكنت عازما على

المقام بهما وفي بعض الأيام زرت السفير المغربي  
الفقيه السيد الحاج الغازي ومساعدته السيد الحاج أحمد  
الشرقاوي فقالا لي ينبغي لك أن تذهب إلى المغرب  
لأن المغرب محتاج إلى العلماء وبالمغرب زاوية  
ومدرسة آبائك وأجدادك العلماء الأعلام وساعداني على  
الذهاب إلى المغرب ولما رجعت إلى المغرب وأقمت به  
وأشواق تلك الأقطار والساكن بها من أبنائنا  
الصلبيين والقلبيين والأحباب لا تكاد تفارق قلبي أبدا  
وهي شاخصة بين عيني لما أعطى الله لقلبي  
من المحبة والشوق لتوات وساكنيها من أولياء الله  
وفي بعض الأيام خطر ببالي أن أكتب نبذة ولو قليلة  
حول هذه البقعة الطيبة المباركة فكتبت هذه النبذة.  
وسميتها:

[نسيم النفحات في ذكر جوانب أخبار توات ومن دفن  
فيها من الأولياء والصالحين والعلماء العاملين  
الثقات] لمحبتتي فيهم ورجائي بركتهم والاطلاع على  
بعض أحوالهم وكمال صفاتهم ولعلي بذلك أن أدخل  
في زميرتهم في سلوكهم وجماعتهم فالرب جواد كريم  
رؤوف رحيم والكل عبيده وهو مولاهم نسأله تعالى  
بجاههم كما جاد عليهم أن يجود علينا وكما تفضل  
عليهم أن يتفضل علينا فهو الجواد بالخيرات والكرامات  
والمخصص لعباده ما يشاء بعظيم الرحمات لا إله غيره  
ولا خير إلا خيره وبيده الحول والتوفيق يهدي من يشاء  
إلى أقوم طريق. هذا وقد قال الصادق المصدوق حين  
قال له بعض أصحابه المرء يحب القوم ولم يعمل  
بعملهم قال عليه الصلاة والسلام: {المرء مع من أحب}  
وقال: {من أحب قوما حشر معهم} وحكي عن الخضر  
أن بعض الصالحين رأى النبي ﷺ وسأله عن أفضل  
الأعمال فقال أفضل الأعمال وقوفك بين يدي ولي من  
أولياء الله قدر حلب شاة أو صلاة ركعتين قال الراوي  
يا رسول الله حيا كان ذلك الولي أو ميتا فقال عليه  
الصلاة والسلام حيا كان أو ميتا، وقال الإمام الشاذلي ﷺ  
حب الأولياء ولاية. وقال سفيان بن عيينة ﷺ عند ذكر  
الأولياء تنزل الرحمة ونظمه بعضهم فقال:

اسرد حديث الصالحين وسمهم \*

فبذكرهم تنزل الرحمات

واحضر مجالسهم تنل بركاتهم \*  
 وقبورهم زرها إذا ما ماتوا  
 وحكى أبو المعالي في كتاب لوامع أنوار القلوب ما  
 نصه: أن رجلا رأى ملكين نزلا من السماء بيد أحدهما  
 صحيفة من ذهب وبيد الآخر قلم من ذهب فقال  
 أحدهما للآخر اكتب أسماء المحبين من أهل هذه البلدة  
 وأمليهم عليك فجعل يملئهم عليه وهو يكتب حتى  
 سمى نفرا من البلدة فقلت لهما اكتباني فقالا لست  
 منهم فقال إني أحبهم فقال له المملي اكتبه آخر  
 الصحيفة أنه محب الصالحين فبينما هما يتخاطبان إذ  
 نزل ملك آخر من السماء فقال لهما إن الحق سبحانه  
 وتعالى يقول لكما اكتباه من المحبين لصدق نيته  
 ومحبه إياهم وروى أبو منهل الدراني أن النبي ﷺ قال  
 له إن ذكر الصالحين كفارة للذنوب ولله در الشيخ  
 العارف بالله سيدي أبي العباس المرسى ﷺ إذ يقول:  
 لي سادة من عزهم \* أقدامهم

فوق الجباه

إن لم أكن منهم فلي \* بحبهم

عز وجاه

[[ مقدمة ]]: توات أرض ذات سباخ كثيرة الرمال  
 والرياح لا تحيط بها جبال ولا أشجار  
 شديدة الحرارة المفرطة لا يكاد ينبت فيها إلا النخيل  
 وبعض الأشجار القليلة لفرط حرارتها والماء  
 يستخرجونه من بطن الأرض بالفقاير بواسطة الآبار  
 بكيفية عجيبة ويقسمونه على الحقول بكيفية أعجب  
 من ذلك.

[فصل سبب تسميتها بتوات]: وإنما سميت بهذا  
 الاسم لأنها تواتي للعبادة أي تليق بها لأن كل من قدم  
 إليها من الأولياء المنقطعين تواتيه للعبادة فلذلك  
 سكنها كثير من أولياء الله الكمل العارفين. وقيل من  
 الأتوات أي المغارم والمكوث أو الفواكه. ثم أعلم أيها  
 الأخ أن العبد المؤمن ولي الله قال تعالى: ﷻ ألا إن  
 أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين ءامنوا  
 وكانوا يتقون ﷻ والرب ولي العبد قال تعالى: ﷻ الله ولي  
 الذين ءامنوا. وقال تعالى: وهو يتولى الصالحين. وقال  
 تعالى: أنت ولينا. وقال تعالى: ذالك بأن الله مولى الذين  
 ءامنوا ﷻ فتبين لك أن الرب ولي العبد والعبد ولي

الرب، وأن الرب حبيب العبد والعبد حبيب الرب قال  
 تعالى: يحبهم ويحبونه. وقال تعالى: والذين آمنوا أشد  
 حبا لله. وقال تعالى: إن الله يحب التوابين ويحب  
 المتطهرين.. قال بعضهم إن الأولياء هم العارفون  
 بالله تعالى المواظبون على الطاعة المجتنبون  
 للمعاصي المعرضون عن الانهماك في طلب الدنيا  
 ولذاتها وشهواتها. وهم على أنواع أعظمهم القطب  
 الجامع وهو خليفة رسول الله ولا يسمى قطبا إلا بعد  
 علمه حقيقة معاني الحروف التي في أوائل سور  
 القرآن واطلاعه على سر القدر ولا يأكل إلا من كسب  
 يده وقد خص الله أوليائه بالكرامات الظاهرة. وكرامات  
 الأولياء ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع قال تعالى: أَلَا  
 إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ  
 آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي  
 الْآخِرَةِ. يونس. وقال: في شأن المتقين هُمْ مَا يَشَاءُونَ  
 عِنْدَ رَبِّهِمْ الشورى. وقال عز من قائل في الأخبار عن  
 السيدة مريم: كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ  
 عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ  
 اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ آل عمران:  
 وكان لا يدخل عليها غيره وكان يجد عندها فاكهة  
 الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف. وقال  
 في شأنها أيضا: وَهَئِذَا نَذَرَ إِيَّكَ يَدْعُ النَّحْلَ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ  
 رُطْبًا جَنِيًّا. فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا مريم. وكان في  
 غير أوان الرطب كما جاء في التفسير. وكذا قصة أصف  
 وزير سيدنا سليمان عليه السلام في قوله تعالى: قَالَ  
 الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ  
 طَرْفُكَ النمل. وقصة أصحاب الكهف وهم من أشرف  
 الروم خافوا بعد سيدنا عيسى عليه السلام على  
 إيمانهم من ملكهم فخرجوا من ديارهم ودخلوا غارا  
 فلبثوا فيه بلا طعام ولا شراب ثلاثمائة سنين وتسع  
 سنين نياما بلا آفة قال تعالى في حقهم: وَتَحْسَبُهُمْ  
 أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ. إلى قوله تعالى: وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ  
 ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا الكهف. وحصول  
 الكرامات وظهورها على يد الأولياء جائز عقلا وواقع  
 نقلا كما تقدم لأنها ليست مستحيلة في قدرة الله  
 تعالى



بل هي من قبيل الممكنات كظهور معجزات الأنبياء ولا يلزم من جوازها ووقوعها محال. وكل ما هذا شأنه فهو جائز الوقوع في الحياة وبعد الممات كما ذهب إليه جمهور أهل السنة وليس في مذهب من المذاهب قول ينفيها بعد الموت بل ظهورها حينئذ أولى لأن النفس بعد الانتقال من هذه الدار تكون صافية من الأكدار ولذا قيل من لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت في حياته فليس بصادق فإن الولي لا يعزل عن ولايته بالموت كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعزل عن نبوته إن مات فذكر كرامات الأولياء كفارة للذنوب وسبب لنزول الرحمة. قال بعض العلماء إذا ذكر الصالحون في مجلس نزلت الرحمة فيه ويخلق الله من هذه الرحمة سحابة لا تمطر إلا في أرض الكفار فكل من شرب من مائها أسلم ومن الكرامات ما سهل الله الكثير من علماء هذه الأمة من التصانيف الكثيرة في الزمن اليسير بحيث لو وزعت تصانيفهم على زمن اشتغالهم بالعلم إلى أن ماتوا لوجد لا يفي به نسخا فضلا عن التصنيف وهذا قسم من نشر الزمان وقد اتفق النقلة أن عمر الشافعي رحمه الله لا يفي بعشر ما أبرزه من التصانيف مع ما ثبت عنه من تلاوة القرآن وأنه كان يختم القرآن كل يوم ختمة وفي رمضان يختم كل يوم ختمتين كذلك مع اشتغاله بالتدريس والإفتاء والذكر والفكر والأمراض التي كانت تحل به. وكذلك إمام الحرمين أبو المعالي الجويني رحمه الله حسب عمره وما صنّفه مع ما كان يلقيه على الطلبة ويذكر به في مجالس التدريس فوجد لا يفي به وقرأ بعضهم ثمان ختمات للقرآن في اليوم الواحد وأمثال هذا كثير فها هو الإمام الرباني الشيخ محي الدين النووي رحمه الله وزع عمره على تصانيفه فوجد أنه لو كان ينسخها فقط لما كفاه ذلك العمر فضلا عن كونه يصنّفها فضلا عما كان يضيف لها من أنواع العبادات وغيرها. قال الإمام اليافعي والعجب كل العجب ممن ينكر الكرامات وقد جاءت في الآيات الكريمة والأحاديث الصحاح والأقوال المشهورة والحكايات المستفيضة عن العيان والمشاهدات. قال سيدي محي الدين ابن العربي ؑ في الباب السادس والثمانين بعد المائة في معرفة مقام خرق العادات:

خرق العوائد أقسام مقسمة \* أتى بها النظر  
الفكري محصوره  
منها معينة بالحق قائمة \* كالمعجزات على  
الأرسال مقصوره  
وما سواها من الأقسام محتمل \* وليس  
للعلم في تعيينه صوره  
وكلها في كتاب الله بينة \* فقف عليه  
تجدها فيه مسطوره  
بشرى وسحر ومكر أو علامته \* وكلها في  
كتاب الله مذكوره  
فهذه خمسة أقسامها أنحصرت \* للناظرين  
وفي الأكوان مشهوره  
وقد بارك الله في عمر السيوطي حتى صارت تأليفه  
أكثر من أيامه وليس ذلك بمستنكر على الله  
تعالى لأن كل شيء خلقه من قدر ومما يدلك على  
ذلك قوله في نظمه ألفية مصطلح الحديث:  
نظمتها في خمسة الأيام \* بقدره  
المهيمن العلام

ختمتها يوم الخميس العاشر \* يا صاح من  
شهر ربيع الآخر  
من عام إحدى وثمانين التي \* بعد  
ثمانمائة للهجرة  
وناهيك برجل جاء إليه العلامة القسطلاني ماشيا من  
القاهرة إلى الروضة حافيا ليسترضيه وكان السيوطي  
معتزلا عن الناس بها فوصل إلى بابه ودقه فقبل من  
أنت فقال القسطلاني جئت إليك حافيا لأطيب خاطرك  
فقال له قد طاب ولم يفتح له الباب ذكره في كشف  
الظنون وذلك أنه وقع بينه وبين السيوطي تدافع  
ونزاع سببه أن السيوطي كان يتهمة بأنه يسرق من  
كتبه أي يستشهد منها ولا ينسب النقل إليه وادعى  
عليه بذلك بين يدي شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري  
فألزمه بإثبات ما ادعاه فقال إنه ينقل عن البيهقي وله  
عدة مؤلفات فليذكر لنا إنه ذكره في أي مؤلفاته لنعلم  
أنه نقل عنه ولكنه رأى ذلك في مؤلفاتي فنقله وكان  
الواجب عليه أن يقول نقل السيوطي عن البيهقي،  
وكانت ولادة السيوطي بعد المغرب ليلة الأحد غرة

رجب الحرام عام تسع وأربعين وثمانمائة 849 هـ —  
بالقاهرة وأما وفاته فكانت إحدى عشرة وتسعمائة  
911 هـ كما في كشف الظنون وإليه أشار الفستالي  
في نظم وفاة الأعلام حيث قال:

سيوطهم غيا وزقاق لم يغب \* عن الحق

إلا أنه لم يبجل

وأما تأليفه فلا تحصى وتعاليقه وتحريراته لا تستقصى  
وكان يرى النبي ﷺ يقظة فأكرم بها من درجة وما من  
فن من فنون العلم إلا وبلغ فيه درجة الاجتهاد وقد نفع  
الله بمؤلفاته العباد إلا الحساب فإنه كان يقول إذا  
حاولت مسألة من الحساب فكأنني أحاول جبلا وهذا مما  
لا يستغرب لأن كرامات الأولياء لا ينكرها سني قال في  
الجوهرة :

وأثبتن للأوليا الكرامه \* ومن نفاها

فانبذن كلامه

وقال في الإضاءة :

ولا تسخ لمن أبى الكرامه \* للأوليا

واجتنبن مرامه

وقال السيوطي في خاتمة جمع الجوامع المسمى  
بالكوكب اللامع:

حق كرامة للأولياء \* قال

القشيري بلا انتهاء

لولد بدون والد وما \* أشبهه قيل

وهذا المعتمى

ومما يرد به قول منكر الكرامة حديث الصحيحين لَقَدْ  
كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُخَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي  
أَحَدٌ فَإِنَّهُ غُفِرَ. رواه البخاري واللفظ له عن أبي هريرة  
ومسلم عن عائشة رضي الله عنها كلاهما عن رسول  
الله ﷺ. وقوله محدثون هو بفتح الدال المهملة المشددة  
أي ملهمون أو يلقي

في روعهم الشيء قبل الإعلان به فيكون كالذي  
حدثه غيره به أو يجرى الصواب على سنته من

غير قصد. وقوله في الحديث فإن يكن في أمتي  
إلخ. ليس للتردد بل للتأكيد وإذا ثبت أن هذا

الحديث الذي هو الإلهام وجد في غير هذه الأمة من  
الأمم المفضولة فوجوده في هذه الأمة الفاضلة  
أحرى. وهذا أقوى دليل على ثبوت كرامات الأولياء. وقد

ثبت لسيدنا عمر كرامات مشهورة ومما اشتهر من كشفه وتصرفه بإسماع الله تعالى لسرية بن زعيم بالتصغير لما أراد هو إسماعه قصة يا سارية الجبل وقصته مع نيل مصر حيث كان لا يأتي إلا إذا ألغوا فيه جارية على عادة الجاهلية فأرسل عمرو بن العاصي إلى عمر يخبره بذلك فأرسل إليه عمر كتابا مختوما وقال له الق هذا الكتاب في النيل فإنه يأتي بإذن الله دون إلقاء جارية فيه ففتح عمرو بن العاصي قبل أن يلقيه في النيل فإذا فيه من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى نيل مصر إن كنت آتيا بإذنك فلا حاجة لنا بك وإن كنت آتيا بإذن الله تعالى فأت إن شاء الله فأتى النيل من غير إلقاء جارية فيه. وقد أشار العلامة المختار بن بونة الجكني الشنقيطي إقليميا في الوسيلة بقوله :

كرامة الولي حق وظهر \* منها كثير

كرسالة عمر

لنيل مصر وسماع ساريه \* منه الكلام

في البلاد النائية

وقد علمت أن كرامة الأولياء من الجائز الممكن وقوعه وليس ذلك من المحال فلا ينكر ما وقع منهم من الأحوال ولا يسمع ممن نفى الكرامة الم يقال لأنه محجوب عن مقام الرجال ومن جهل شيئا أنكر وجوده وتصوره ولله در من قال:

وإذا كنت في المسائل غرا \* ثم

أبصرت حاذقا لا تمار

وإذا لم تر الهلال فسلم \* لأناس

رأوه بالأبصار

وقال صاحب أسهل المسالك:

للأوليا كرامة لا تنكر \* ثم الدعاء

نفعه مؤثر

ودونك يا أبا العلم الأمر الخارق للعادة مفصلا ومبينا في هذه الأبيات التالية وهي :

وواجب التصديق بالكرامة \* وحبذا ناموس

الاستقامه \* لكنها ليست مع التحدي

وشرطها استقامة في الحد \* فكل ما يقع للنبي

\* معجزة يقع للولي

قالوا سوى الإحياء للأموات \* والبعض قال إنه قد  
 يأت \* كرامة الولي حق ظهرت  
 على يد الجم الغفير اشتهرت \* تقع للأحياء  
 والأموات \* وبعضهم منع من إموات  
 فيقطع المسافة الطويلة \* تطوى له في لحظة  
 قليلة \* ويحضر الطعام عند الفقد  
 كالماء واللباس عند البرد \* ويمشي في الهواء أو  
 في الماء \* كذا تكليمه للعجماء  
 منهم من أخبر بغيب فظهر \* وقع ذلك كثيرا  
 واشتهر \* ومنها ما جرى لأهل الكهف  
 مع طول لبثهم في ذاك الكهف \* بلا شراب وبلا  
 طعام \* كذا بلا تغير الأجسام  
 كعمر كان بمسجد الرسول \* يخطب في جمعة وهو  
 يقول \* سارية الجبل عند خطبته  
 والحاضرون دهشوا من دعوته \* رأى عدو جيشه خلف  
 الجبل \* نادى أميره سارية البطل  
 نبهه إذ ذاك من العمل \* سمع صوته الأمير  
 فامثل \* أمر الفروق وفي حينه ارتحل  
 بجيشه طوعا فانحازوا للجبل \* قدر مسافة الطريق  
 شهر \* من المدينة فكان النصر  
 وكتبه لنيل مصر إذ يطول \* جريه بالماء وفي الحين  
 هطل \* فكل ما يقع للولي  
 كرامة من مدد النبي \* لكنه ممتنع أن يوجد \*  
 ولد دون والد قد ولدا  
 ممتنع قلبه للجماد \* بهيمة خذه عن اعتماد \*  
 وسبعة خارقة للعاده  
 فاعرف وحصل هذه الإفاده \* معجزة على يد النبي  
 \* كرامة على يد الولي  
 معونة من مسلم لم يلحق \* درجة الولي العفيف  
 المتقي \* رابعها الإرهاص وهو ما ظهر  
 قبل النبوة لمن بها اشتهر \* كمثل تظليل الغمامة  
 على \* نبينا قبل النبوة اعقلا  
 فمع الاستدراج نيل الغرض \* إهانة لعكس ذاك  
 تقتضي \* كداخل النار إذا لم يحترق  
 فيها وذو إهانة إن يحترق \* شعودة ترى كمثل  
 السحر \* والسحر ثامنها فاحفظ شعري

وهو على قسمين أعني السحرا \* معصية تارة كفرا  
أخرى \* لأنه من عمل الشيطان  
فاعله رجع بالخسران \* واقطع بما قد قاله النبي  
\* وجوزن ما قاله الولي

لعصمة الأول دون الثاني \* وذاك فضل

الواهب المنان اهـ.

[فائدة]. قال أبو علي اليوسي في حواشي الكبرى إثناء  
كلام ما نصه: والولي وإن جاز وقوع الزلة منه لا يقدر  
ذلك فيه لكن نقول أن ذلك غير قاصح في دينه إذا  
استغفر وتاب وأما نحن فنحكم بجرحته إذا رأيناها منه  
اهـ.

ومن أراد أن يفوق على بعض ما أكرم الله به أوليائه من  
الكرامات التي تبهر العقول والمسامع فليهرج النوم  
والمضاجع وليراجع هذه المراجع:

[1] مشكاة المصابيح للإمام التبريزي.

[2] التفسير الكبير للفخر الرازي.

[3] كتاب الاعتبار للإمام أسامة.

[4] الرسالة القشيرية

[5] مصباح الظلام في المستغيثين بسيد الأنام.

[6] روح القدس لمحي الدين بن العربي.

[7] الفتوحات المكية له أيضا.

[8] مواقع النجوم له أيضا.

[9] المحاضرات لمحي الدين بن العربي.

[10] روض الرياحين للإمام اليافعي.

[11] تفاح الأرواح للإمام السراج.

[12] شرح الحكم العطائية لابن عباد.

[13] تحفة الأحاب للسخاوي.

[14] تحفة الأنام للإمام جلال الدين البصري.

[15] طبقات الخواص للإمام الزبيدي.

[16] الأنس الجليل للقاضي عبد الرحمن العليم.

[17] الشقائق النعمانية.

[18] شرح تائية الصفي.

[19] نسيم الأسحار في كرامات الأولياء والأخيار.

[20] قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر.

[21] المنن الكبرى والبحر المورود للإمام الشعراني.

[22] الطبقات الكبرى للإمام المناوي.

[23]الإبريز في مناقب سيدي عند العزيز الدباغ.  
 [24]المشرع الراوي  
 [25]الكواكب السيارة للإمام نجم الدين. [26]نفح  
 الطيب للإمام أحمد بن المقرئ.  
 [27]خلاصة الآثار.  
 [28]شرح الطريقة  
 المحمدية للشيخ عبد الغني النابلسي.  
 [29]سلك الدرر. [30]الحدائق الوردية من حقائق  
 الطريقة النقشبندية للشيخ عبد الحميد النقشبندي.  
 [31]شرح البردة للشيخ سيدي حسن العدوي.  
 [32]عمدة التحقيق.  
 [33]كتاب الزهد للإمام أحمد. [34]حلية الأولياء لأبي  
 نعيم. [35]صفة الصفوة لابن الجوزي  
 إلى غير ذلك من كتب الأولياء والصالحين.  
 [ الباب الأول . في ذكر حدود

توات ]

توات لها حدود من الجهات الأربع فحدودها من الجهة  
 الشرقية الجنوبية يتدئ من فصور أقبلي وتيط وإنغر  
 وعين صالح وفقارة الزوى وفقارة العرب والساهلة  
 ومن جهة الشمال الشرقي الصحراء التي تقرب من  
 المنيعه وهذه الصحراء كبيرة عريضة جدا يسكنها قبائل  
 كثيرة من الشعانبة وهم أهل شجاعة وفتوة وكرم وعلو  
 همة ومقاومة للاستعمار وقد ظهر منهم ذالك أيام  
 الثورة الجزائرية المباركة وتمتد هذه الصحراء إلى  
 متليلي وهي قصر كبير جميل تحيط به قبائل كثيرة من  
 العرب وبعض الزوى وأهل هذا القصر معروفون بالخير  
 والكرم والسخاء والمحبة التامة للعلم وأهله ومحبة أهل  
 البيت النبوي ومنهم أولاد إبراهيم الذين منهم أولاد  
 الحاج قاسم [وأولاد فيها خيرا]<sup>1</sup> وأولاد الحاج محمد  
 بن إبراهيم وهؤلاء هم الذين نزلنا بدارهم عندما زرنا  
 متليلي فنعم الأب ونعم الأولاد وهم السيد عبد الكريم  
 والسيد الحاج الشيخ وإخوته وأمههم الكريمة المحسنة  
 الصالحة السيدة الحاجة بية بنت السيد الحاج محمد بن  
 الحاج قاسم فنعم الفرع ونعم الأصل وكل أهل هذه  
 البلدة جميعا على درجة عالية من الكرم والجود  
 فجزاهم الله عنا خيرا ويوجد في هذه البلدة أولاد  
 الولي الصالح سيدي محمد الزيغم ويوجد خارجها ضريح

<sup>1</sup> -1 كذا في النسخة التي نقلنا منها. عبارة غير مفهومة.

الولي الصالح سيدي أبو حفص البكري. وفيها كذلك الشرفاء الكرماء الصالحون أولاد سيدي مولاي سليمان أصحاب الشرف الرفيع والقدر المنيع وتمتد هذه الصحراء إلى ورقلة وقبائلها المحيطة بها في غاية الجود والكرم وعلو الهمة والغيرة على الإسلام وشعائره وفي اليوم الذي زرناهم فيه خرجوا لملاقاتنا عن بكرة أبيهم سواء في ذلك المالكية والإباضية وهم طائفة من أتباع عبد الله بن إباح موجودون في تلك النواحي خرج الجميع من غير تمييز بسياراتهم الكثيرة الرفيعة على مسافة بعيدة عن المدينة جدا فجزاهم الله عنا بأحسن جزاء وأكرمهم وبارك فيهم وفي ذريتهم وفي جميع تلك القبائل الكريمة كلها آمين. ويوجد في ورقلة الفقيه الجليل القاضي السيد محمد العالم ابن الفقيه سيدي محمد الحسن الفلاني من قصور أقبلي ومعه ابن أخته السيد محمد العالم ابن الفقيه السيد الحاج محمد عبد القادر الفلاني أيضا بارك الله فيهما وجزاهما خيرا وكذلك يوجد بها الشيخ العلامة السيد محمد ابن الحاج عيسى وقد تلاقينا معه وهو شيخ مرشد معلم كان يجول بقري ورقلة ويث العلم وهو من تلامذة السيد عبد الرحمن السكوتي القبلاوي وقبائل ورقلة يتسابقون إلى فعل الخير ويسارعون إليه جميعا بارك الله فيهم.

وحد توات من جهة الشمال الشرقي يبدأ من الصحراء التي بين المنيعه وتيميمون والمنيعه مدينة جميلة خارجة عن حدود توات وأهل المنيعه من أجود العرب وأكثرهم كرما ومحافظه على الدين والعرض وفيهم السخاوة الكثيرة ويوجد بها بيت مشهور بالكرم والتقوى وفعل الخير وحب أهل العلم يقال لهم الحاج ومنهم تلميذنا الأبر التقي الصادق الفقيه السيد الحاج العيد بن الحاج أحمد وفقه الله وأصلح حاله. ويمتد حدود توات الشمالي مرورا بالولي الصالح السيد الحاج أبو محمد وسيدي منصور بكركور وتبلكوزة إلى زاوية سيدي محمد عريان الراس من جهة الشمال الغربي. وحدها من جهة الشمال الغربي يبتدئ من زاوية عريان الراس إذا أن زاوية كرزاز ليست من توات وزاوية كرزاز هي الزاوية الكبيرة الشهيرة السنية وهي زاوية



القطب الولي الصالح السيد أحمد بن موسى المشهور بالصالح والبركات والسر الظاهر، والكبير من أولادهم سنا هو الذي يتولى أمور الزاوية ولا يتصدى لتلقي السرحتى يتلقى الإذن عن النبي ﷺ على ما قيل وبعد زيارة الشيخ الأكبر شيخ الشيوخ الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي دفين توات اه. ويمتد حدودها غربا من هذه الزاوية مرورا بالأقصاى وابن طلحة أحد قصور الهبله وسبع بلدة الفقيه سيدي محمد بن عبد الله السباعي قبودة غربا فتسفاوت كذلك وأخيرا تمادنين من جهة الجنوب الغربي وحدها يتدئ من تمادنين غربا فزاوية الشيخ سيدي مولاي عبد الله الرقاني جنوبا فقصور أقبلي من الجهة الجنوبية الشرقية إن لم نقل أن "والن" من قرى توات والحق أن "والن" من قرى توات لأن الشريف الصالح سيدي مولاي هبة بنى بها قصبة وحفر بها آبارا وهي موجودة إلى اليوم وهي باب توات من الجهة الجنوبية وهذه القصور التي ذكرناها أنفا إنما هي من حدود توات من الجهات الأربع ويوجد داخل هذه الحدود قصور كثيرة سنتكلم على بعضها عندما نشرع في الكلام على المقصود من هذه النبذة

والعجالة القليلة المبنى والكثيرة المعنى والمفيد جدا لكل من قرأها.

[الفصل الأول] وألتمس من القارئ الواقف على ما كتبه المعذرة فيما عسى أن يقف عليه من الخطأ والتحريف أو زيغ القلم وأقول له بأني قصير الباع قليل الاطلاع يضاف إلى ذلك أنني لم أطلع على

من كتب تاريخا أو شيئا عن توات من أهلها وقد بحثت عن هذا الفن في الأماكن والخزانات التي أظن أنه يوجد فيها شيء أعتمد عليه في هذا المعنى فلم أجد شيئا يذكر. وقد قيل لي أن بعض

العلماء من أهل توات كان ألف كتابا سماه بالبسيط أو الوسيط في تاريخ القصر المسمى بتمنطيط ولم أقف عليه لأن الحكومة الفرنسية عند احتلالها لتوات جمعت كل نسخ ذلك الكتاب واحتفظت بها وحذرت الناس من تعاطيها وإظهارها والاشغال بها على ما حكى لي وبلغني وفي هذا المعنى قلت هذين البيتين وهما: معذرة مني لأهل الفن \* لاسيما لناقد بأني

لم أطلع على كتاب لتوات \* وإنما

نقلت ذا عن الثقات  
ويرحم الله من قال: وربما أنكر ضيق العطن \* والباع  
والبحث علي فطعن

ولست إلا من مشاهير الكتب \* أخذت هذا

فليزك أو يسب

وكما قد قيل: ومن ينتقد والعلم عنه بمعزل \* يرى

النقص في عين الكمال ولا يدري

وقد تحررت في كتابتي هذه العجالة كثيرا من التحريات  
فلا أكتب شيئا إلا عن الثقات من الرجال الصادقين  
والعلماء العارفين علما مني بأن أهل التاريخ قد يقع  
منهم الخطأ أو الكذب أو التحريف في بعض كتاباتهم  
وإنه ليس كل مقول يوصف بالقبول بل لا يقبل منه إلا

الصدق ولا يتبع الإنسان زخرف القول غرورا ولا ينقل  
كلما رآه مسطورا فلا بد من التثبت والفحص عن

الدليل عما وجدته من قيل لأن لا يقع في المين

الموجب للمقت واللعن في الدارين قال ابن خلدون

ولما كان الكذب متصرف للخبر بطبيعته وله أسباب

تقتضيه فمنها التشيعات للآراء والمذاهب فإن النفس

إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته

حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه

وإذا خامرها تشيع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من

الأخبار لأول وهلة وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على

عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع في قبول

الكذب ونقله. ومن الأسباب المقتضية للكذب في

الأخبار أيضا الثقة بالناقلين وتمحيص ذلك يرجع إلى

التعديل والتجريح. ومنها الذهول عن المقاصد فكثير من

الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع وينقل الخبر

على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب. ومنها توهم

الصدق وهو كثير وإنما يجئ في الأكثر من جهة الثقة

بالناقلين ومنها الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع

لأجل ما يداخلها من التلبيس والتصنع فينقلها المخبر

كما رآها. إلى غير ذلك من حالات الالتباس والشك

وحب الرئاسة والتقرب إلى أهل المناصب والرؤساء

فانظر تمام كلامه في تاريخه اهـ.

[الفصل الثاني في التعريف بابن

خلدون]

فالإمام ابن خلدون هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد ثلاث مرات ابن الحسن بن

خلدون الحضرمي يتصل نسبه بوائل بن حجر أحد قبائل اليمن وأحد الصحابة الوافدين على رسول الله ﷺ. ودعا له فقال اللهم بـارك ف وائل بن حجر وولده وولد ولده إلى يوم القيامة وكان بيت ابن خلدون بأشبيلية فانتقلوا عنها إلى تونس في أواسط المائة السابعة فولد أبو زيد هذا بها أي بتونس غرة رمضان سنة 732هـ ونشأ بها مكبا على تحصيل العلم حريصا على اقتناء الفضائل تفقه بشيوخ تونس ومنهم قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري وأخذ عن جماعة من شيوخ فاس حين قدموا تونس مع السلطان أبي الحسن المريني وقد وقعت بين ابن عرفة وابن خلدون نفرة، وابن عرفة هذا هو إمام جامع الزيتونة بتونس وشيخ الفتيا بها فلما وقعت بينهما هذه النفرة كانت هي السبب الباعث له على الرحلة إلى المشرق فركب البحر من تونس منتصف شعبان سنة 784هـ.

[ تنبيه ]: ابن خلدون شيخ الحافظ بن حجر العسقلاني شارح البخاري والداماني شارح المغني والبخاري أيضا وغيرهما ثم ولي القضاء وعزل عنه مرارا إلى أن مات قاضيا فجأة يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة 808هـ وله تأليف كثير في غاية الجودة وحسبك ما أبداه من غرائب العلوم ودقائق الفهوم في الجزء الأول من تاريخه اهـ.

[ الفصل الثاني. وتحتة فصول: الفصل الأول

في ذكر سكان توات اليوم ]

وهم أربعة أقسام الشرفاء والعرب والمرابطون والموالي ولغتهم هي العربية الدارجة ودينهم الإسلام وعقيدتهم الأشعرية ومذهبهم المالكي وطريقتهم الجنيدية ويغلب على سكان توات السمرة على أعراضهم إلا نادرا لفرط الحرارة والطبيعة ولهم عادات خاصة بهم في كل المناسبات ولهم قصور عالية متفرقة يحفرون حول كل قصر خندقا عميقا يحصنون به قصورهم من العدو ومن عاداتهم إكرام الضيف، والمسافر لا يحتاج إلى حمل الزاد معه لأن في كل

قصر من قصورها عادة فإذا كان القصر فيه زاوية لها أحباس على إطعام الطعام للضياف فإن المسافر يقصد دار الزاوية فيجد فيها كل ما يحتاج إليه هو ومن معه حتى علف الدابة وإن لم تكن فيه زاوية فإن أهل القصر لهم عادة ونوبة لكل واحد منهم ولا يتخلف هذا النظام عندهم ولو أقام الضيف بالزاوية الأيام الكثيرة فإن ضيافته تبقى مستمرة إلى حين ترحاله وما أكثر هذه الزوايا في ذلك القطر العزيز المبارك وما أكثر الأوقاف على المساجد والأئمة والمؤذنين ومن يصلي التراويح في شهر رمضان والمادحين لرسول الله ﷺ وعلى الفقراء وأبناء السبيل والأرامل وما إلى ذلك من أنواع البر والإحسان ويغلب عليهم التقشف والتصوف والتدين والمحافظة على الصلوات الخمس جماعة ويغلب على أهلها التيمم لأن الماء في بعض القصور مضر جدا ومجرب ويحبون الصالحين ويعظمونهم ويحترمون أماكنهم ويحبون أهل البيت النبوي محبة مفرطة ولا يتقد منهم أحد أمام الشريف في إمامة أو دعاء ولو كان الشريف صغيرا أو ضعيفا وجل قوتهم التمر يأكلونه قبل الغداء والعشاء دائما وغالب تجارتهم إلى السودان كتبتكو أوقاة وغيرهما من مدن السودان يحملون إليها التمر والتبغ والزرابي وي جلبون الغنم واللحم [يعني القدي من لحم البقر] والسمن وأنواع السلع.

[الفصل الثاني] في التعريف بالولي الصالح والقطب الفائح الشريف الرباني سيدي مولاي عبد الله الرقاني ابن الشريف سيدي مولاي علي العلوي يتصل نسبه بالدوحة العلوية التي يرجع نسبها إلى السيد مولاي علي الشريف دفين تافلات ذي النسب الطاهر المتصل بسيدنا الحسن سيد شباب أهل الجنة ابن سيدنا علي كرم الله وجهه ومن صدفة سيدتنا فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة بنت سيدنا محمد... والشيخ مولاي عبد الله الرقاني مدفون بزاويته المسماة بزاوية الرقاني الشهيرة قرب القصر القديم الذي كان يسكنه وبنيت على ضريحه قبة كبيرة تقام لها زيارة فاخرة عظيمة يقصدها الناس من كل جهات توات يوم الثامن عشر إبريل من كل سنة وقد أخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ سيدي محمد بن أبي زيان دفين القنادسة وقال

أنه تمسك في عالم السر على شيخ المشايخ الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي عن طريق الكشف.

[الفصل الثالث]: للرفاني هذا أولاد وقد نبغ منهم في هذا الميدان أي ميدان الولاية وارث سره الولي الصالح والشيخ المشارك سيدي مولاي عبد المالك الذي ورث ذلك السر القندوسي الذي اقتبس منه أبوه عن الشيخ القندوسي أحد أعلام السادات الشاذلية وقد نظم أشياخه الفقيه الجليل العلامة السني صاحب التآليف الكثيرة سيدي محمد بن أب وهو الذي نظم أشياخه بطلب من الشيخ مولاي عبد المالك ويقال أن الشيخ مولاي عبد المالك لما قال لهذا الفقيه ابن أب انظم لي أشياخي فقال كيف أنظم أشياخك هذه شهادة فقال له مولاي عبد المالك لا تنظم لي أحدا منهم حيي تراه ويشهد لك بذلك فاتفقا على ذلك على ما يحكى وهذا النظم هو المسمى عندهم بالسلسلة<sup>[2]</sup> وقصر مولاي عبد المالك قريب من ضريح أبيه المسمى بقصر مولاي عبد المالك وهو مدفون بزاوية من زوايا مسجده وبقربه ضريح ابنه الشيخ محمد العيمش ولهم أملاك موقوفة على المسجد والفقراء وأبناء السبيل وعلى الطلبة الذين ويختمون في كل يوم ختمة من القرآن العظيم على تلك الأضرحة وهذه الزاوية لا يسكنها إلا أبناء الرفاني مع مواليتهم وأولاد الشيخ مولاي عبد المالك هم الذين في أيديهم قصب السبق والرياسة حتى مع الحكومة فإن السيد مولاي الشيخ كان هو القائد على تلك الناحية في أول دخول الاستعمار لها ومع ذلك كان لا يبالي بأوامرهم ولا يلقي لها بالا على ما يحكى ومن أحفاده الفقيه الشاب التقى السيد محمد بن مولاي مبارك بن مولاي الشيخ المذكور وهو تلميذ لنا وهو الذي تركته خليفة على مدرستنا عندما فررنا خوفا من الفرنسيين مع المرحوم سيدي مولاي عمر والشريف سيدي مولاي الحبيب بن مولاي عبد الرحمن.

<sup>2</sup> وهذا النظم مشهور وأوله:

الحمد لله المجيب السائل \* إذا دعا بأعظم الوسائل \*

ثم الصلاة والسلام معها

على الذي حاز العلا أجمعها \* وآله وصحبه وكل من \* نال

العلا بفضلهم طول الزمن

وللسيد محمد بن مولاي امبارك هذا مدرسة في هذه الزاوية الرقانية يدرس فيها العلوم الشرعية ويعلمها لأبناء المسلمين وإمام بها مثل والده. وقد أدركت من أبناء الشيخ مولاي عبد

المالك سيدي محمد بن سيدي ملوك والسيد محمد ابن سيدي مولاي عبد الله وهذا المذكور أخو مولاي الشيخ المذكور وهم على درجة عظيمة من الصلاح اه. ولكل واحد من هؤلاء أولاد ورثوا ذلك السر وباختصار فإن أبناء الشيخ الرقاني كلهم فضلاء وصلحاء وكرماء وأجلاء صالحون مصلحون بصلاح آبائهم وأجدادهم الذين تشد الرحال لزيارتهم والتبرك بأثارهم. اه

[الفصل الرابع]: قد تقام على أضرحة غالب أولياء الله بتوات زيارات معلومة اليوم من كل سنة لكل ولي منهم يقصدها الزائرون من كل حذب وصوب بقصد التبرك بذلك الولي كل على حسب قصده ونيته وإنما الأعمال بالنيات.

[الفصل الخامس]: وبمناسبة ذكرنا لزيارة الصالحين ربما ينتقد بعض النقاد أو بغض المنكرين لكرامات الأولياء أو لزيارة الموتى عامة أو بعض القائلين بأن الميت لا ينتفع بالدعاء أو الصدقة عليه أو بقراءة القرآن وإهداء ثوابه إليه وما إلى ذلك من الطعام وأنواع الصدقات وما أكثر هذا الصنف من المتنطعين المارقين الضالين المضلين المتشدين الذين يحسبون أنهم على شيء وليسوا على شيء وإنما هم بلية ابتلي بها آخر هذه الأمة فشوشوا على العوام وشككوهم في دينهم ألا إنهم هم الكاذبون ولكن الله حفظ هذا الدين بحفظ العلماء الصالحين المصلحين مصداقا لقوله (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) وها أنا أنقل لك يا أخي بعض ما تيسر لي بحسب الإمكان مما قيل في هذا الباب وهذا الشأن من أقوال العلماء الراسخين الثابتين من زيارة القبور وقراءة القرآن على الميت والتصدق عليه هل يصل إليه شيء من ثواب ذلك أم لا ومن التوسل بالأولياء والصالحين فإليك سيدي ذلك كله مفصلا بحول الله وقوته. اه.

## [الباب الثالث.وتحتة]

### فصول:الفصل الأول]

زيارة القبور ولاسيما زيارة الصالحين فإنها مستحبة على الراجح المشهور من أقوال العلماء الأعلام فقد ورد أن من قرأ آية الكرسي وجعل ثوابها لأهل القبور أدخل الله في كل قبر من المشرق إلى المغرب أربعين نورا ووسع الله عليهم مضاجعهم وروي عن النبي أنه قال: (ما الميت في قبره إلا

كالغريق المستغيث ينتظر دعوة تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديق له فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها) وإن هدايا الأحياء للأموات والدعاء لهم والاستغفار ينفعهم وقد ذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني في كتابه الأجوبة عن أئمة الفقهاء والصوفية: بأن الأئمة والأشياخ والفقهاء يشفعون في مقلديهم ويلاحظون ويحضرون عند أرواحهم وعند سؤال منكر ونكير لهم وعند النشر والحشر والحساب والميزان والصراط ولا يغفلون عنهم في موقف من المواقف وقال لما مات شيخنا شيخ الإسلام ناصر الدين اللقاني رآه بعض الصالحين في المنام فقال له ما فعل الله بك فقال لما أجلسني

الملك كان ليسألاني أتاهم الإمام مالك فقال لهما مثل هذا لا يحتاج أن سأل عن إيمانه بالله ورسله تنحيا عنه فتنحيا عني فقال وإذا كان مشايخ الصوفية يلاحظون أتباعهم ومريديهم في جميع الأهوال والشدائد في الدنيا والآخرة فكيف بأئمة المذاهب الذين هم أوتاد الأرض وأركان الدين وأمناء الشريعة على هذه الأمة أجمعين..وقد قال الشيخ سيدي أحمد التيجاني لبعض من سأله قائلا له يا سيدي سمعنا أن المشايخ تحضر مع أصحابهم عند الموت وعند السؤال فكيف أنت فقال له كفاني رسول الله الحضور مع أصحابي عند الموت وعند السؤال.وتؤكد زيارة الأقارب خصوصا الوالدين فقد ورد أن من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة مرة غفر الله له وكان بارا بوالديه. وفي رواية من زار قبر والديه كل جمعة أو أحدهما فقرا عنده يس والقرآن الحكيم غفلا الله له بعدد كل آية أو حرف وفي رواية من زار قبر والديه أو أحدهما يوم الجمعة كان كمن حج وقد اتفق العلماء

على وصول ثواب الصدقة للأموات ولا فرق بين أن تكون بعيدة عن القبر أو عنده وكذلك الدعاء والاستغفار وغيره. قال النبي ﷺ: (لو كان الميت مسلماً فاعتقتم عنه أو تصدقتم عنه أو حججتم عنه بلغه ذلك فالميت المسلم تنفعه الدعاء والصدقة) واختلفوا في القراءات أي في ثوابها فقليل يصل إلى الميت وعليه جمهور العلماء وقيل لا يصل وينسب ذلك لابن عبد السلام عملاً بظاهر قوله تعالى {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى} وهو خلاف التحقيق والتحقيق وصولها مطلقاً. والآية مجاب عنها بأن اللام في للإنسان بمعنى على. أو هي حكاية عن لما في صحف موسى وإبراهيم وشرع من قبلنا ليس شرع لنا لأن قوم إبراهيم موسى عليهما السلام كان لهم بحسب شريعتهم ما سعوا لا ما سعي لهم. أو المراد بالإنسان الكافر كما قال الربيع عن أنس. أو أن حكم الآية منسوخ بقوله تعالى {والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء} وقد ألف العالم شهاب الدين ابن إبراهيم بن عبد الغني الحنفي في هذه المسألة رسالة سماها نفحات النسمات في إهداء الثواب للأموات حقق فيها وصول الثواب للميت وأن الميت ينتفع بالقراءة على القبر أو في البيت أو في البلدة. إن وهب له الثواب اه. قال ابن هلال والذي أفتى به ابن رشد وذهب إليه غير واحد من أئمتنا أن الميت ينتفع بقراءة القرآن الكريم ويصل إليه نفعه إذا وعب القارئ ثوابه له وبه جرى عمل المسلمين شرقاً وغرباً ووقفوا على ذلك أوقافاً واستقر عليه الأمر من أزمنة سالفة وكان الإمام أحمد بن حنبل يقول: (إذا دخلتم المقابر فاقروا فاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم اه. وحكي عنه أنه كان قبل ذلك ينكر وصول ثواب القراءة من الأحياء للأموات فلما حدثه بعض الثقات أن سيدنا عمر بن الخطاب ؓ أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة الكتاب وخاتمة البقرة قال بما تقدم اه. وحكي أن ابن عبد السلام ريء في المنام بعد موته فقل ما تقول فيما كنت تنكر من وصول ما يهدى للميت من قراءة القرآن للموتى فقال هيهات هيهات



وجدت الأمر على خلاف ما كنت أظن اه. قال العلامة  
 الأمير ويلحق بالقراءة التهليل الذي يفعل أي يصل إلى  
 الميت ثواب ما يذكرونه لأنهم يهبون ثوابه ويجعلونه  
 مخرجا مخرج الدعاء وهو بهذه الكيفية يصل باتفاق  
 الجميع ذكر ذلك العلامة العبدوي في مشـارق  
 الأنوار. وقد سئل الرملي عن قرأ القرآن وأهدى ثوابه  
 للنبي هل واصل إلى حضرته أو زيادة في شرفه أو  
 مقدما بين يديه أو غير ذلك فما جرت به العادة هل  
 ذلك جائز مندوب يؤجر فاعله أولا ومن منع ذلك  
 متمسكا بأنه أمر مخترع لم يرد به أثر ولا ينبغي أن  
 يجترأ على مقامه الشريف إلا بما ورد كالصلاة عليه  
 وسؤال الوسيلة هل هو مصيب أولا ؟ فأجاب نعم ذلك  
 جائز بل مندوب قياسا على الصلاة عليه وسؤال  
 الوسيلة له والمقام المحمود ونحو ذلك بجامع الدعاء  
 بزيادة تعظيمه وقد جوزه جماعة من المتأخرين وعليه  
 عمل الناس وما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله  
 حسن فالمانع من ذلك غير مصيب اه. وروي عن علي  
 بن موسى الحداد قال كنت مع أحمد بن حنبل في  
 جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفنا الميت  
 جاء رجل ضريـر يقرأ عند القبر فقال له الإمام أحمد يا  
 هذا إن القرآن عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر  
 قال محمد بن قدامة للإمام أحمد يا أبا عبد الله ما  
 تقول في مبشر بن إسماعيل الحلبي قال ثقة قال  
 كتبت عنه شيئا قال أخبرني مبشر بن إسماعيل عن  
 عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا  
 دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة البقرة وخاتمتها وقال  
 سمعت عمر يوصي بذلك فقال له الإمام أحمد فارجع  
 إلى الرجل فقل له يقرأ. وقد سئل الشيخ حسنين  
 مخلوف عن حكم قراءة القرآن الكريم وهبة ثوابه  
 للميت وعن حكم إعطاء الصدقة للفقير وهبة ثوابها  
 للميت وهل ذلك يختص بيوم العيد أو في سائر أيام  
 السنة. فأجاب بقوله قال ابن تيمية من أئمة الحنابلة إن  
 الميت ينتفع بقراءة القرآن كما ينتفع بالعبادات المالية  
 من الصدقات ونحوها وقال ابن القيم في كتاب الروح  
 أفضل ما يهدى للميت الصدقة والاستغفار والدعاء له  
 والحج عنه وأما قراءة القرآن وإهداؤها إليه تطوعا بغير

أجره هذا يصل إليه كما يصل ثواب الصوم والحج. وقال في موضع آخر من كتابه والأولى أن ينوي عند الفعل أنها للميت ولا يشترط التلفظ بذلك وذهب السادة الأحناف إلى أن كل من أتى بعبادة سواء كانت صدقة أو قراءة قرآن أو غير ذلك من أنواع البر له جعل ثوابها لغيره ويصل ثوابها إليه. وفي فتح القدير روي عن عليّ عن النبي ﷺ أنه قال (من مر على المقابر وقرأ

قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة ثم وهب أجرها للأموات أعطي من الأجر بعد الأموات). وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ سئل عن فقال السائل يا رسول الله إنا نتصدق عن موتانا ونحج عنهم وندعو لهم هل يصل ذلك إليهم قال نعم إنه يصل إليهم وإنهم ليفرحون به كما يفرح أحدكم بالطبق إذا أهدي إليه. ومذهب السادة الشافعية أن الصدقة يصل ثوابها إلى الميت باتفاق وكذا القراءة فالمختار كما في شرح المنهاج وصول ثوابها إلى الميت وينبغي الجرم به لأنه دعاء. ومذهب السادة المالكية أنه لا خلاف في وصول الصدقة إلى الميت واختلف في جواز القراءة للميت فأصل المذهب كراهتها وذهب المتأخرون إلى جوازها وهو الذي جرى عليه العمل فيصل ثوابها إلى الميت ونقل ابن فرحون أنه الراجح وإن كل ذلك ليس مختصا بوقت معين بل يوم العيد كغيره من سائر الأيام والله أعلم. وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال (مثل الميت في قبره كمثل الغريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولد أو أخ أو قريب). وقال بعض السلف: الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند أخيك فلان من عند فريبك فلان قال فيفرح بذلك كما يفرح الحي بهديته. ونقل أن رجلا كان يشهد الجنائز فإذا أمسى وفق على المقابر فقال: أنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز الله عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم. لا يزيد على هذا شيئا قال فأمسيت ليلة ولم أدع فينمأ أنا نائم إذا خلق كبير جاءوني فقلت من أنتم قالوا أهل المقابر فقلت ما حاجتكم قالوا إنك عودتنا هدية عند انصرافك إلى أهلك قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو قلت أعود

لذلك فما تركتها بعد ذلك ولسيدنا عمر بن عبد العزيز  
:

انظر لنفسك يا مسكين في مهل \* ما دام  
ينفعك التفكير والنظر  
قف بالمقابر وانظر إن وقفت بها \* لله  
درك ماذا تستر الحفر  
ففيهم لك يا مغرور موعظة \* وفيهم لك  
يا مغتر معتبر

وقال أيضا لبعض جلسائه يا فلان لقد أرقت الليلة  
أتفكر في القبر وساكنه إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة  
في قبره لاستوحشت من قربهِ بعد طول الأنس منك  
ولرأيت بستانا تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد  
وتخرقه الديدان مع تغير الريح وبلي الأكفان بعد حسن  
الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب ثم

شهق شهقة وخرمغشيا عليه. وقال ميمون بن مهران:  
خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة فلما  
نظر إلى القبور بكى ثم أقبل علي فقال يا ميمون  
هذه قبور آبائي بني أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا  
في لذاتهم وعيشتهم أما تراهم صرعى قد خلت بهم  
المثلات واستحكم فيهم البلاء وأصابت

الهوام مقيلا في أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم  
أحدا أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب  
الله: النفس تبكي على الدنيا وقد علمت \* أن  
السلامة فيها ترك ما فيها

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها \* إلا التي  
كان قبل الموت يبنها

فإن بناها بخير طاب مسكنه \* وإن  
بناها بشر خاب بانيها

أين الملوك التي كانت مسطنة \* حتى  
سقاها بكأس الموت ساقياها

أموالنا لذوي الميراث نجمعها \* ودورنا  
لخراب الدهر نبنها

كم من مدائن في الآفاق قد بنيت \* أمست  
خرابا وأفنى الموت أهليها

لكل نفس وإن كانت على وجل \* من  
المنية آمال توفىها

فالمرء يبسطها والدهر يقبضها \*  
والنفس تنشرها والموت يطويها  
[الباب الرابع. في التوسل

والاستغاثة]

ومما يناسب هذا المقام ذكر التوسل والاستغاثة  
بالأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين وشدة الرجال  
إليها سبب في قضاء الحوائج ونيل الكرامات وكذا  
التوسل بأهل بيت النبي ﷺ لكرامتهم عند الله تعالى فما  
بالك بمن اجتمعت فيه الولاية والغوثية والقطبانية عين  
الرحمة وباب الله والواسطة العظمى بيننا وبين الله  
سيدنا ومولانا محمد ﷺ والذي من توسل به إلى الله  
واستغاث به فإن الله لا يخيب رجاء ويرحم الله الإمام  
البوصيري إذ يقول في ميميته حيث قال:

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ \* سِوَاكَ  
عِنْدَ خُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمِيمِ

وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولُ اللَّهِ جَاهُكَ بِي \* إِذَا الْكَرِيمُ  
تَجَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَصَرَّتْهَا \* وَمِنْ  
عُلُومِكَ عِلْمُ اللُّوحِ وَالْقَلَمِ

وقال في همزيته: فَأَغْنِنَا يَا مَنْ هُوَ الْغَوْثُ وَالْغَيْثُ \* ثُ  
إِذَا أَجْهَدَ الْوَرَى اللَّأْوَاءُ

وَالْجَوَادُ الَّذِي بِهِ تُفْرَجُ أَلْغُمَةٌ عَنَّا  
وَتُكْشَفُ أَلْحُوبَاءُ

يَا رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا \* ذَهَلْتُ عَنْ  
أَبْنَائِهَا الرُّضَعَاءُ

يَا شَفِيعًا لِلْمُذْنِبِينَ إِذَا أَشْدَّ \* فَقَوْ مِنْ  
خَوْفِ دَنْيِهِ الْبُرَّاءُ

جُدْ لِعَاصٍ وَمَا سِوَايَ هُوَ أَلْعَا \* صِي وَلَكِنْ  
تَنْكُرِي إِسْتِخْيَاءُ

وقال القائل: إليك رسول الله أشكو نوائبا \* من  
الدهر لا يقوى لها المتحمل

وإني لأرجو أنها بك تنجلي \* لأنك لي  
جاء وحصن ومعقل

قال الشيخ زروق في قواعده عند ذكر المقابر: من جاز  
التبرك به حيا جاز التبرك به ميتا كذا قال

الإمام الغزالي في كتب آداب السفر وقال ويجوز شد  
الرجال لهذا الغرض ولا يعارضه حديث {لا تشد الرجال

إلا للمساجد الثلاثة { لتساوي المساجد في الفضل دون  
الثلاثة وتفاوت العلماء والصلحاء في الفضل وتجاوز  
الرحلة عن الفاضل للأفضل ويعرف ذلك من كراماته  
وعلمه سيما من ظهرت كرامته بعد موته ومثلها في  
حياته أو أكثر أو من جرب إجابة الدعاء عند قربته وهو  
غير واحد في أقطار الأرض وقد أشار إليه إمامنا  
الشافعي حيث قال قبر موسى الكاظم الترياق  
المجرب. وكان أبو عبد الله القديري رحمه الله يقول إذا  
كانت الرحمة تنزل عند ذكرهم فما ظنك بمواطن  
اجتماعهم على ربهم ويوم قدومهم عليه بالخروج من  
هذه الدار وهو يوم وفاته فزيارتهم تهنئة لهم وتعرض  
لما يتجدد من نفحات الرحمة عليهم وقد قال سيدي  
عبد الوهاب الشعراني أن بعض مشايخنا أن الله تعالى  
يوكل بقبر كل ولي ملكا يقضي حوائج من توسل بهم  
وتارة يخرج الولي من قبره ويقضي الحاجة بنفسه لأن  
للأولياء الانطلاق في البرزخ والسراج لأرواحهم فربما  
خرج الشخص منهم من قبره على صورته وقضى حوائج  
المتوسلين به كما وقع لسيدنا حمزة بن عبد المطلب  
مع الشيخ أحمد بن محمد الدمياطي رحمه الله تعالى  
وقد ذكر هذه الحادثة في التوسل بأهل بدر وأحد السيد  
جعفر البرزخي في رسالته المشهورة وفي سنن  
المهتدين للقائي رحمه الله تعالى قال كان سيدي  
المنثوري رحمه الله تعالى لا يزال ينشد:

اسرد حديث الصالحين وسمهم \* فبذكرهم

تنزل الرحمات

واحضر مجالسهم تنل بركاتهم \* وقبورهم

زرها إذا ما ماتوا

وقد ذكر الشيخ الإمام أبو عبد الله بن النعمان في  
كتاب سفينة النجاة أن زيارة قبور الصالحين والتشفع  
بهم معمـــــول به عند علمائنا المحققين من أئمة  
الدين. فمن أراد حاجة فليتوسل بهم إلى الله تعالى  
فإنهم الواسطة بين الله وخلقهم وليقدم على ذلك  
التوسل بالنبي كما قال أبو عبد الله بن الحاج في  
المدخل وزيارتهم في الحقيقة موصلة للنبي وكذا  
التوسل بهم فاستحضر هذا المعنى عند زيارتهم  
والتوسل بهم يكمل حالك وتحصل آمالك وفي بعض  
أجوبة الشيخ أبي المحاسن المعروف عند المحققين

وأرباب القلوب من العلماء المهتدين ولا مخالف في ذلك  
أن زيارة الأولياء والعلماء موصلة له إذ كل خير وبركة  
قلت أوجلت منه حصلت وبطلعته ظهرت وكيف لا وسائر  
العلماء والأولياء صورة تفصيله وخلفاؤه ومظاهر  
تعييناته فما منهم أحد إلا وهو ساجد في نوره وممتد  
من بحره على حسب مقامه فهو الجامع لما افترق فلا  
زائر ولا مزور إلا له فجميع الأولياء وجميع الأنبياء  
منسوبون إليه ومستمدون كنهه فما ترى على التحقيق  
كرامة ولا آية ولا خرق عادة إلا وهي له وقال الشيخ  
زروق في عمدة المريد وأما التمسك بأموال فهو من  
قلة الاعتقاد في الأحياء وذلك

من نقص الهمة اللهم إلا أن يكون ذلك على سبيل  
التعرض لنفحات الرحمة الربانية لطلب الزيادة  
فمدد الميت أقوى من مدد الحي لأنه في بساط الحق  
ولأن التعلق به عري عن الأعراض والعوارض من  
الاستئناس ونحوه كما قال أبو العباس الحضرمي  
وكرامة الله تعالى في أوليائه لا تنقطع بموتهم بل  
ربما زادت كما هو معلوم في كثير منهم. وقال الشيخ  
أبو إسحاق سيدي إبراهيم التازي نزيل وهران أحد  
مشاهير العلماء العاملين في وقته:

زيارة أرباب التقى مرهم يبري \* ومفتاح  
أبواب الهداية والخير

وتحدث في الصدر الخلي إرادة \* وتشرح  
صدرا ضاق من شدة الوزر  
وتنصر مظلوما وترفع خاملا \* وتكسب  
معدوما وتجبر ذا كسر

وتبسط مقبوضا وتضحك باكيا \* وترفد بالبذل  
الجزيل وبالأجر

إلى أن قال: عليك بها فالقوم باحوا بسرها \* وأوصوا  
بها يا صاح في السر والجهر

فزر وتأدب بعد تصحيح نية \* تأدب مملوك  
مع المالك الحر

ولا فرق في أحكامها بين سالك \* مرب  
ومجذوب وحي وذو قبر

وذو الزهد والعباد فالكل منعم \* عليه ولكن  
ليست الشمس كالبدر

فلازم زيارتهم وذكرهم ومحبتهم يفتح لك الباب ويرفع  
عن قلبك الحجاب فإن من شيمتهم الفاضلة وأخلاقهم  
الكريمة أن يقبلوا من قصدهم ولا يخيبوا من التجأ  
إليهم وإياك ومعاداتهم فإن لسانهم مطلق وسرهم  
مغلق وغرابهم أبلق وحالهم مستور صفاهم صفاهم  
ووفاهم وفاهم وولاهم ولاهم وسيف قهرهم على  
الأعادي مشهور من رماهم بسهم به رمي ومن عاداهم  
قمع وقصي ووقع في قلب الشرور وفي كتاب بذل  
المناصح قال الشيخ زروق: أن روح الإسلام حب الله  
تعالى وحب رسوله وحب الآخرة وحب الصالحين. وعن  
شيخه الحضرمي قال رأى بعض الصالحين سيدنا ومولانا  
محمد في النوم فسأله عن أفضل الأعمال فقال  
«وقوفك بين يدي ولي من أولياء الله تعالى قدر حلب  
شاة أو ناقة قال قلت حيا أو ميتا قال حيا كان أو  
ميتا». وذكر أبو نعيم في الحلية أن أفضل ما تعبد به  
المتعبدون التحبب إلى أولياء الله تعالى بما تحبون وإن  
علامة محبة الله تعالى محبة أوليائه وذكر سيدي عبد  
الرحمن الثعالبي بسنده إلى الإمام الطبري قال مات  
غريب عندنا بمكة فأخرجناه إلى باب المعلاة وجلسنا  
لإصلاح دفنه فاستوى جالسا قلنا ألسنت قد مت قال  
بلى ولكن رجعت لأحدثكم وأبشركم أنفع ما عندنا محبة  
الصالحين وموالاتهم ثم رجع ميتا ولما ذك الشيخ أبو  
المحاسن في بعض أجوبته قوله: للرائي حيث سألته عن  
أفضل الأعمال جلوسك بين يدي ولي ولو بقدر حلب شاة  
إلخ.. قال وإن كان في هذا بحث فهو مؤيد بالنصوص  
وقد ذكره الغزالي وغيره وأثبتوه في كتبهم وصيروه  
دليلا وليت شعري ما لمانع من ذلك مع مالنا في  
علومنا العادية أن من كان له عند  
الشخص قدر بحيث أنه إذا شفع عنده قبل شفاعته فإذا  
انتسب إليه شخص في غيبته وتشفع به وإن  
لم يكن حاضرا ولا شافعا وليس ذلك من باب تقرب  
المشركين إلى الله تعالى بعبادة غيره كما حكاه عنهم  
بقوله: وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فإننا إذا  
توسلنا بالنبي أو غيره من الأنبياء والصالحين لم يكن  
توسلنا بهم عبادة لهم كما كان المشركون الأصنام  
لتقربهم إلى الله تعالى بل إننا لم نقصد إلا التبرك  
والاستشفاع بهم والتبرك بالشيء غير التقرب به كما

لا يحفى وإنما لم بتوسلنا عن توحيده تعالى وإنه المنفرد بالنفع والضر ومع أننا في ذلك لسنا سائلين غير الله تعالى ولا داعين إلا إياه وليكون ذلك المحبوب أو العظيم المتوسل به سببا للإجابة وواسطة في قضاء الحوائج كما في

الأدعية الصحيحة الماثورة أسألك بأنك أنت الله وأعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك وحديث الغار الذي فيه الدعاء بالأعمال الصالحة فالمستول في هذه الدعوات كلها هو الله تعالى وحده لا شريك له والمستول به مختلف لم يوجب ذلك إشراكا والسؤال بالمستول

بهم ليس سؤالا لهم وإنما هو سؤال الله تعالى بهم فلو كان اتخاذ الوسطة بعد اعتقاد أن المؤثر هو الله تعالى وحده شركا كما يزعم الزاعمون لكان معاونة بعضنا بعضا في قضاء الحوائج شركا وهذا باطل بالضرورة. وقد أقسم الله عز وجل في الأزل بحياة النبي ﷺ فقال جل وعلا لعمر ك إنهم لفي سكرتهم يعمهون قيل أقسم الله عز وجل في الأزل بحياته ليظهر شرفه وعلو قدره ودنو منزلته عنده ليتوسل المتوسلون به إليه قبل بروزه إلى الوجود وفي حياته وبعد وفاته وفي عرصات القيامة ولهذا وغيره لم يزل أهل الإيمان يتوسلون به في حياته وبعد وفاته من غير نكير وكان أهل الكتاب لهم علم من ذلك فكانوا يتوسلون به قبل وجوده فيستجاب لهم كما قال الله تعالى: وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا قال ابن عباس كان أهل خيبر تقاتل غطفان كلما التقوا هزمت غطفان يهود فدعن يهود بهذا الدعاء اللهم إنا نسألك بحق النبي الذي وعدتنا أن تخرجه آخر الزمان أن لانصرتنا عليهم فكانوا إذا التقوا ودعوا بهذا الدعاء هزمت يهود غطفان ولما بعث النبي ﷺ كفروا به فأنزل الله عز وجل: وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا أي يدعون بك يا محمد إلى قوله: فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وإذا كان الله عز وجل يستجيب لأعدائه بالتوسل به مع علمه عز وجل أنهم يكفرون به ويؤذونه ولا يتبعون النور الذي أنزل معه قبل وجوده وبروزه إلى الوجود وإرساله رحمة للعالمين فكيف لا يستجيب لأحبابه إذا



توسلوا به بعد وجوده وبعثته رحمة للعالمين وإذا كان رحمة للعالمين فكيف لا يتوسل به ولا يتشفع به ثم لا التفات بعد هذا التصحيح من الحاكم وهو الحاكم إلى طعن طاعن وفي هذا الحديث انظر بعد هذا إلى تصحيح الحاكم لحديث توسل سيدنا آدم بالنبي ﷺ فالواجب اعتقاده أن الاستغاثة بالأنبياء والصالحين والتوسل بهم هو أنهم أسباب ووسائل لنيل المقصود وأن الله تعالى هو الفاعل المختار كرامة لهم لا أنهم الفاعلون كما هو المعتقد الحق في سائر الأفعال قال العلماء أما الاستغاثة

بالأسباب من حيث أنها أسباب عادية وضعها الله على ما اقتضته حكمته العلية فإنه أمر بها في صريح قوله ﷺ واستعينوا بالصبر والصلاة ﷺ وقوله ﷺ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﷺ وحث عليها بقوله ﷺ {والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن فرج على مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة} وقد تحب استغاثة المخلوق إذا تعينت طريقة للإنقاذ من حرق أو غرق أو انتهاك عرض أو سفك دم حرام أو نهب مال محترم وألفت نظرك إلى قوله ﷺ (من نفس، أو فرج) حيث نسب التيسير والتفريج لغير الله تعالى إسنادا بالفعل إلى السبب وهو ما يسمى في علوم البلاغة بالمجاز العقلي لرفع الحرج عن أمته في أمثال ذلك ولا يريد المسلمون إلا هذا المعنى الذي نطق به نبيهم بل وكتابهم فإذا قال القائل منهم نفعتني النبي أو الولي أو أخذ بيدي أو أغاثني فلا يعنون إلا هذا الإسناد المجازي وإن لم يعرف

لفظ فقد استقر في نفوسهم معناه بما وقر فيها من نور التوحيد ومن الذي يقول وهو من أهل العقول أن الغريق ونحوه إذا استغاث بمخلوق ينشله وهو يعلم أنه من الأسباب العادية يكون بالله كافرا وفي عبادته مشركا. وقد سئل الرملي كما ورد في فتاويه عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد يا شيخ فلان يا رسول الله ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين هل ذلك جائز أم لا وهل للرسول والأنبياء والأولياء والصالحين والمشايخ إغاثة بعد موتهم وما مرجع ذلك؟ فأجاب بأن

الاستغاثة بالأنبياء والأولياء والمرسلين والعلماء والصالحين جائزة وللرسل والأنبياء والصالحين والأولياء إغاثة بعد موتهم لأن معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء لا تنقطع بموتهم أما الأنبياء فلأنهم أحياء في قبورهم يصلون ويحجون كما وردت به الأخبار وتكون الاستغاثة منهم معجزة لهم والشهداء أيضا أحياء شوهدوا نهارا جهارا يقاتلون الكفار وأما الأولياء فهي كرامة لهم فإن أهل الحق على أنه يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة يجريها الله بسببهم والدليل على جوازها أنها أمور ممكنة لا يلزم من جواز وقوعها محال وكل ما هداشأنه فهو جائز الوقوع وعلى الوقوع قصة مريم ورزقها الآتي من عند الله تعالى على أن نطق به التنزيل وقصة أبي وأضيافه كما في الصحيح وجريان النيل لكتاب عمر ورؤيته على المنبر بالمدينة جيشه بـ (نهاوند) حتى قال لأمير الجيش يا سارية الجبل محذرا له من وراء الجبل لكمون العدو هناك وسماع سارية كلامه وبينهما مسافة شهرين وشرب خالد السم من غير تضرره به. وقد جرت خوارق على أيدي الصحابة والتابعين من بعدهم لا يمكن إنكارها لتواتر مجموعها وبالجملة ما جاز أن يكون معجزة للنبي جاز أن يكون كرامة للولي لا فارق بينهما إلا التحدي. وقد سئل الشيخ يوسف الدجوي عن طلب المعونة من نبي أو ولي على أنهما سببان عاديان كسائر الأسباب العادية المخلوقة لله عز وجل. فأجاب بأن التوسل جائز وواقع بأوسع معاني الكلمة ولا محال فيه لعقل ولا لنقل وليس ذلك إلا

من قبيل الأسباب والمسببات والعالم كله مبني على الأسباب والمسببات وقد جعل الله الناس على مراتب مختلفة لحكم سامية وأسرار عالية فمنهم الغني والفقير والقوي والضعيف والعالم والجاهل والرئيس والمرؤوس والملوك والسوقة ولا بد أن يكون لصاحب المرتبة العليا ما ليس لصاحب المرتبة الدنيا ولا فرق في ذلك بين أمور الدين والدنيا فالتجاء الصغير للكبير في كل ذلك لا شيء فيه بل هو مراد الحق من خلقه المتفاوتين في الاستعدادات والنعم والمواهب ولذلك خلقهم أما الشرك فهو أن تطلب من غير الله على أنه

إله مع الله يعطي ويمنع بغير إذنه ولا يتصور أن يكون ذلك من أحد

المؤمنين فإن طلبته منه على أنه لا يفعل شيئا إلا بإذن الله ولا يتصرف إلا بإقداره إياه معتقدا أنه ما ملك إلا بتمليكه ولا تصرف إلا بإرادته لم يكن عليك بأس ولا في ذلك حرج بل هو الواقع الذي جبلت عليه الفطرة وجاءت به الشرائع والديانات. وقد أسند الله إحياء الموتى وهو أكبر شيء إلى

سيدنا عيسى وكان يسنده إلى نفسه فيقول وأحيى الموتى بإذن الله ولا شك أن من استغاث بالولي أو النبي لم يستغث به على أنه شريك لله أو يفعل بغير إذن الله حتى لو فرضنا أن ذلك لم يكن حاضرا في نفسه فهو كامن فيها بمقتضى قوله لا إله إلا الله فهو بمنزلة ما إذا رجوت وزيرا أو أميرا أن يفعل لك شيئا غير مستحضر ما يقتضيه التوحيد من كون الله خالق كل شيء وإليه يرجع الأمر كله وهذا الوزير أو الأمير لا يملك لنفسه فضلا لغيره نفعل ولاضرا فلا تجعل ذلك منه شركا بوجه من الوجوه تعويلا على الكامن في نفسك من انفراده تعالى بالملك والملكوت في الحقيقة وإن الذي ترجوه إنما هو متصرف بتصرفات الله تعالى وإن الله هو الذي ملكه ما يتصرف فيه ولحكمة ما جعل العباد مراتب محتاجا بعضها لبعض فلماذا تجعل الطالب من الأنبياء والأولياء مشركا ولا تجعله مشركا عندما يطلب من الوزير أو الأمير بل من الفاجر والكافر والمدرک فيهما واحد فإن الله لا شريك له في أمور الدنيا ولا في أمور الآخرة فإما أن تعتبر الظاهر فتجعله شريكا فيهما وإما أن تعتبر الباطن وتجعل ذلك من باب الأسباب والمسببات التي هي نظام العالم ولسنة الله في خلقه فإن كان لديك من صريح التوحيد ما يمت الأسباب من نظرك بالكلية ويجعلك تلتجئ إلى الله مباشرة به بلا توسط أحد كان لك ذلك ولكنها مرتبة مخصوصة لقوم مخصوصين وقد جاء الدين للناس جميعا مراعى استعدادهم مكتفيا بما تكنه ضمائرهم من التوحيد بل عرفنا أن هناك مقربين وغير مقربين وهناك من تجاب دعوته وترجى شفاعته ومن ليس كذلك ولهذا كان رسول الله ﷺ الشفيع الأعظم في الآخرة وبعده الأنبياء والأولياء والعلماء كما جاء في

السنة. ثم تقول بعد ذلك إن المتوسل إلى الله بالنبي أو الولي معترف بمقتضى توسله إنما المعطي والمأنح إنما هو الله ولكن يقول إن الولي والنبي أقرب إلى الله مني وله عند الله جاه وحرمة وذلك حق لا نزاع فيه ولذلك يشفع النبي ﷺ للخلائق يوم القيامة وكذا الأنبياء والأولياء والصالحون وفي إمكان روح الولي أن تدعو وتطلب من الله قضاء

حاجته والأرواح عند المسلمين باقية بعد الموت ولها أفعال وأقوال في البرزخ وطالما جاءت في المنام فأرشدت المرشدين وأغاثت الملهوفين ولا تزال تقول ما الفرق بين الطلب من الأنبياء وغيرهم من أهل الدنيا وهل هناك فرق بين أمور الدنيا وأمور الآخرة وبين الأحياء والأموات عند المسلمين الذين يعتقدون بقاء الأرواح وعدم فنائها بمقتضى ما دلت عليه الأحاديث المتواترة في عذاب القبر ونعيمه ومن حياة الأنبياء ويكفيك ما ورد في حديث الإسراء والمعراج فقد جاء فيه عن موسى وأدم وإبراهيم عليهم السلام ما فيه مقنع وكفاية بل جاء في كلام الفلاسفة الأقدمين قبل الميلاد المسيحي ما

يشفي ويكفي. وقبيح والله بالمؤمن أن يئس كما يئس الكفار من أصحاب القبور وإن شيئاً اعترف به الفلاسفة غير المسلمين ووصلوا إليه بعقولهم السليمة قبل إخبار الرسل به. قبيح على من تزيا بالإسلام وسمع ما جاء به الرسل أن ينكر ما اعترف به غير المسلمين. ولنسق لك حديثاً صحيحاً

هو نص في الموضوع. أخرج النسائي في سننه والترمذي في صحيحه وابن ماجه وغيرهم أن أعمى أتى إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إني أصبت في بصري فادع الله لي فقال له النبي ﷺ توضأ وصل ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد يا محمد إني استشفع بك في رد بصري اللهم شفعه في وقال فإن كانت لك حاجة فمثل ذلك فرد الله بصره قال سيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ في كتابه المواثيق العهود: تأمل بيوت الحكام تجدها لا بد لك فيها من الواسطة الذي له قرب عند الحكام وإدلال عليه ليمشي لك في قضاء حاجتك ولو أنك طلبت الوصول إليه بلا واسطة لم

تصل إلى ذلك وإيضاح ذلك أن من كان قريبا من الملك فهو أعرف بالألفاظ التي يخاطب بها الملك وأعرف بوقت قضاء الحوائج ففي سؤالنا للوسائط سلوك للأدب معهم وسرعة لقضاء الحوائج ومن أين لأمثالنا أن نعرف آداب خطاب الله عز وجل وقد سمعت سيدي عليا الخواص يقول إذا سألتكم الله حاجة فاسألوه بمحمدؐ وقولوا اللهم إنا نسألك بحق محمدؐ أن تفعل لنا كذا وكذا فإن لله ملكا يبلغ ذلك لرسول اللهؐ ويقول له إن فلانا سأل الله تعالى بحقك في حاجة كذا وكذا فيسأل النبي ﷺ ربه في قضاء تلك الحاجة فيجاب لأن دعاءه لا يرد قال وكذلك القول في سؤالكم الله بأوليائه فإن الملك يبلغهم ذلك فيشفعون له في قضاء الحاجة. قال العلامة الأجهوري وهل يجوز القرب من الولي عند الزيارة أم لا؟ الظاهر أن ذلك يختلف باختلاف مقامات الزائرين ومقامات المزورين قال وأجاز بعضهم تقبيل الأعتاب والمقابر إذا كان عند الزائر حسن اعتقاد ولم يكن مقتديا به وعن الإمام القضاعي ما يفيد تفصيل كلام العلامة الأجهوري بين الزائر والمزور. ولفظه قال أبو موسى دخلت ضريح السيدة نفيسة رضي الله عنها ووضعت يدي على الضريح فإذا بقائل من داخل القبر يقول أهكذا يدخل على أهل بيت النبوة؟ وكذا تمرغ الخد على الأعتاب ما لم يكن على هيئة السجود وإلا حرم ولم يكن مكفرا لعدم قصد العبادة والسجود للمخلوق وإنما هو من شدة التعلق بمحبة أعتابهم وما يقع من بعض العوام من قولهم أي للولي يا سيدي فلان مثلا إن قضيت لي كذا وكذا أو شفيت لي مريض فلك علي كذا. فهو من الجهل بالسنة بكيفية الطلب ولكن لا يعد كفرا لأنهم لا يقصدون بذلك الإيجاد من الولي وإنما يجعلونه في نياتهم وسيلة إلى مولاهم حيث كان المتوسل به في اعتقادهم من أهل القرب والمحبة للخالق ألا ترى أنهم يكررون في أثناء كلامهم يا صاحب النفس الطاهرة عند ربك اطلب لي من مولاك أن يفعل لي كذا وكذا فإن ذلك دليل منهم على انفراد الله تعالى بالفعل وأنه لا شيء للولي إلا مجرد التسبب وأنه لا يرد للمتوسل به لأن

القريب المحبوب لا يرد فيما طلب. قال العلامة العدوي في كتابه مشارق الأنوار: وقد جوز العلماء الإجماع الاستغاثه والتوسل بالنبي ﷺ واستدلوا على جواز التوسل والاستغاثه بدلائل منها قوله ﷻ تعالى يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ﷻ قال ابن عباس رضي الله عنهما إن

الوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله تعالى فمنها قوله تعالى: ﷻ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﷻ قال ابن عباس رضي الله عنهما هم عيسى وأمه وعزيز والملائكة. وتفسير الآية كانوا يعبدون الأنبياء والملائكة على أنهم أرباب لهم فيقول الله تعالى لهم أولئك الذين تعبدونهم هم يتوسلون إلى الله بمن هو أقرب فكيف تجعلونهم أرباباً وهم عبيد مفتقرون إلى ربهم متوسلون إليه بمن هو أعلى مقاماً منهم ومنها قوله تعالى: ﷻ ولأنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ﷻ فقد علق تعالى قبول استغفارهم باستغفاره ﷻ وذلك صريح في الدلالة على جواز التوسل به كما يفهم من قوله تعالى: ﷻ لوجدوا الله تواباً رحيماً ﷻ وأنت تعلم أن استغفاره ﷻ لأمته لا يتقيد بحال حياته فقد روى البزار بسند صحيح عنه ﷻ أنه قال {حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم فإذا أنا مت كانت وفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن رأيت شراً استغفرت الله لكم} صححه المناوي في الشرح الكبير على الجامع الصغير وصححه الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد وقد قال ﷻ {حياتي خير لكم ومماتي خير لكم فقالوا يا رسول الله عرفنا أن حياتك خير لنا فكيف وفاتك خير لنا إلخ.. قال أما حياتي فإنكم كلما أحدثتم حدثاً أحدث الله لكم المخرج منه بي. فإذا مت فلا أزال أنادي من قبري ربي أمتي حتى ينفخ في الصور ثم لا أزال أجاب أربعين سنة حتى ينفخ في الأخرى وتعرض علي أعمالكم فما كان من حسن شكرت الله عليه وما كان من سيء دعوت الله أن يغفره} رواه الإمام هبة الله في كتابي توثيق عرى الإيمان ورواه غيره فهو ﷻ رحمة لنا في حياته وبعد وفاته فكيف لا يتوسل به. ومنها قوله تعالى: ﷻ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ﷻ فنسب الله تعالى

الاستغاثة إلى غيره من المخلوقين وكفى به دليلاً على جوازها فإن قيل إن المستغاث به في هذه الآية حي وله قدرة وإنما كلامنا في الميت أجيب بأن نسبة القدرة إليه إن كانت استقلالاً فهي كفروا إن كانت بقدرته تعالى

على أن يكون هو السبب والوسيلة ليس إلا. فلا فرق بين الحي والميت فإن الميت له كرامة وإذا لم تنسب الاستغاثة إلى الله تعالى حقيقة وإلى غيره مجازاً كانت الاستغاثة ممنوعة وحيث كان المراد بالتوسل بالأنبياء والصالحين والطلب منهم هو استشفاعهم وقد أخبر الله تعالى أنهم يملكون الشفاعة بقوله: ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق﴾ هي قول لا إله إلا الله فأى مانع من طلب شيء مما ملكوه بإذنه تعالى فيجوز أن تطلب منهم وأن يعطوك مما أعطاهم الله تعالى وإنما الممنوع هو طلب الشفاعة من الأصنام التي لا تملك شيئاً منها. ومنها كما في منهل العابدين

للإمام الغزالي أن قارون لما استغاث بموسى عاتبه الحق تبارك وتعالى حيث لم يغثه وقال وعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته فانظر كيف أمره الحق أن يغثه وعاتبه. ومنها ما أخرجه الحاكم وصححه أنه قال لما اقترف آدم الخطيئة قال رب أسألك بمحمد ﷺ إلا ما غفرت لي فقال تعالى

يا آدم كيف عرفت محمد ولم أخلقك؟ قال يارب إنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضيف إلي اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال تعالى صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك قال الحاكم صحيح الإسناد. ورواه الطبراني وزاد وهو آخر الأنبياء من ذريتك ورواه الحاكم أيضاً من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بزيادة بلفظ أوحى الله إلى عيسى يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت أهلك آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن. قال الحاكم في مستدركه هذا

صحيح الإسناد ولم يخرجاه يعني البخاري ومسلما. فهذا الإمام الحافظ قد كفانا المؤونة وصح الحديث وقد رواه غير واحد من الحفاظ وأئمة الحديث منهم أبو محمد مكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهما أن آدم ؑ عند اقترافه قال اللهم بحق محمد عليك اغفر لي خطيئتي ويروى نبيك. قال الله أين عرفت محمدا فقال رأيت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له. وفي رواية الحافظ الأخرى فقال آدم لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدرا ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي إنه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم يكنى أبا محمد. ومنها ما رواه ابن ماجه بإسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري ؓ قال قال رسول الله: {من خرج من بيته إلى الصلاة فقال اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشي هذا إليك فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك} فقد توسل النبي ؐ في قوله إني أسألك بحق السائلين عليك. أي بكل عبد مؤمن وأمر أصحابه أن يدعوا بهذا الدعاء فيتوسلوا مثل توسله ولم يزل السلف من التابعين ومن تبعهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم إلى الصلاة ولم ينكر عليهم أحد. ومنها قوله: {اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حبتها ووسع عليها مدخلها} بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي {إلخ.. الحديث. رواه الطبراني في الكبير وصححه ابن حبان والحاكم عن أنس بن مالك ؓ. وفاطمة هذه هي أم الإمام علي كرم الله وجهه التي ربت النبي ؐ. وروى ابن أبي شعبة عن جابر مثل ذلك. وروى مثله أيضا ابن عبد البر عن ابن عباس. ورواه أبو نعيم في الحلية عن أنس كما ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الكبير. ففي هذا الحديث الثابت توسله إلى ربه



بذاته التي هي أرفع الذوات قدرا وبإخوانه النبيين وجلهم موتى عليهم جميعا صلوات

الله وسلامه. ومنها ما روي عن أنس قال دخلنا على رجل من الأنصار وهو مريض ثقيل فلم نبرح حتى قبض فبسطنا عليه ثوبه وله أم عجوز كبيرة عند رأسه فالتفت إليها بعضنا وقال يا هذه احتسبي مصيبتك عند الله تعالى قالت وما ذاك مات ابني قلنا نعم قالت أحقا ما تقولون فمدت يدها إلى الله وقالت الله تعلم إني أسلمت وهاجرت إلى رسولك رجاء أن تغثني عند كل شدة ورخاء فلا تحمل علي هذه المصيبة اليوم قال فكشف الثوب عن وجهه فما برحنا حتى طعمنا معه. ومنها ما رواه الترمذي والنسائي والبيهقي بإسناد صحيح عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضريرا أتى النبي فقال ادع الله أن يعافيني فقال إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير قال فادعه فأمره أن يتوضأ ويحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء. اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعه في فعاد وقد أبصر وخرج هذا الحديث البخاري في تاريخه وابن ماجه والحاكم في المستدرک بإسناد صحيح. وذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير والصغير وقد ذكر الإمام ابن حجر في الدر المنظوم أنه ينبغي لمن وقع في شدة أو حاجة طالبا قضاءها من ذي إمارة أن يفعل ذلك فيقضي الله حاجته فإذا قيل إن هذا كان في حياة النبي فليس يدل على جواز التوسل به بعد موته فنجيب بأن هذا الدعاء قد استعمله الصحابة والتابعون أيضا بعد وفاة النبي لقضاء حوائجهم بدلالة ما رواه الطبراني والبيهقي أن رجلا كان يختلف إلى سيدنا عثمان في زمن خلافته في حاجة ولم يكن ينظر في حاجته فشكى الرجل ذلك لعثمان بن حنيف فقال له أنت الميضاة فتوضأ ثم أتت المسجد فصل ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي لتقضي حاجتي وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان فجاءه الباب وأخذ بيده وأدخله على عثمان فأجلسه معه وقال اذكر حاجتك

فذكر حاجته فقضاها ثم قال له ما كان ينظر في حاجتي حتى كلمته

فقال ابن حنيفة والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله ﷺ وقد أتاه ضرير فشكى إليه ذهب بصره الحديث. فهذا توسل ونداء بعد وفاته ﷺ على أن النبي ﷺ حي في قبره وله السراح في الانطلاق إلى حيث يريد في جميع أقطار الأرض واجتمع بكثير من أفراد أمته يقظة لا مناما وليست درجته ﷺ دون درجة الشهداء الذين صرح الله تعالى بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين. قال الشيخ سيدي محمد أبو المواهب الشاذلي ﷺ رأيت رسول الله ﷺ فقال لي عن نفسه لست بميت وإنما موتي عبارة عن تسبّط عن لا يفقه عن الله لا عمن أيقظه الله فهأنا أراه ويراني وقد تقدم في هذا الكتاب عند ذكر رؤية

النبي ﷺ في النوم واليقظة اجتماع كثير من صلحاء أمته وعلمائهم فراجع إن شئت. ومنها قول النبي ﷺ لسيدنا عمر وسيدنا علي رضي الله عنهما في شأن أويس القرني ﷺ يا عمر ويا علي إذا أنتما لقيتماه فاطلبا إليه أن يستغفر لكما يغفر الله تعالى لكما فمكثا يطلبانه عشر سنين لا يقدران عليه إلى أن لقياه. ففي هذا جواز التوسل بالأشخاص وبدعائهم. ومنها ما رواه الدارمي في صحيحه عن أبي الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا إليه كوة من السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت فسمي عام الفتق قال الزين المراغي وفتح الكوة عند الجذب سنة أهل المدينة حتى الآن. ومنها ما ذكر في الشفاء بسند جيد أن أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور قال للإمام مالك يا أبا عبد الله وكان بالمسجد النبوي أستقبل القبلة وأدعو أم استقبل رسول الله ﷺ فقال له الإمام مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى بل استقبله واستشفع به يشفع الله فيك. ومنها ما رواه البيهقي وابن أبي شبة بسند صحيح أن الناس أصابهم قحط في خلافة سيدنا عمر ﷺ فجاء بلال بن الحارث ﷺ إلى قبر النبي ﷺ وقال يا رسول الله استسقي لأمتك فإنهم هلكوا فاتاه رسول

الله في المنام وأخبره أنهم يسقون فهذه الرؤيا وإن كانت حقا لا تثبت بها الأحكام لإمكان اشتباه الكلام على الرائي وإنما الاستدلال بفعل أحد أصحاب النبي في اليقظة وهو بلال بن الحارث فإنه أتى قبر النبي وناداه وطلب منه أن يستسقي لأمته وذلك بعد وفاته والعهد عهد الصحابة والمسجد ممتلئ بالأكابر منهم فلم ينكر عليه منهم أحد ولا عده خلاف الأولى وفعل الصحابة تشريع للأمة بدليل قوله: {عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ} وقوله: {أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم}.. وفي

المواهب اللدنية للإمام القسطلاني أن سيدنا عمر بن الخطاب لما استسقى بسيدنا العباس قال يا أيها الناس إن رسول الله كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به في عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله تعالى، وادع يا عباس، فكان من دعائه اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك وهذه أيدينا لك بالذنوب ونواصينا إليك

بالتوبة فاستسقنا الغيث واحفظ اللهم نبيك في عمه فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخضبت الأرض وعاش الناس وأقبلوا على العباس يتمسحون به ويقولون هنيئا لك يا ساقى الحرمين وقال سيدنا عمر عند ذلك هذا والله وسيلة إلى الله والمكان منه وفيه جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل بل توسل سيدنا عمر بسيدنا العباس لقربته من النبي ولمنزله لديه توسل بالنبي وتصريح العباس في دعائه بقوله واحفظ نبيك في عمه أي ببركة ومنزلة نبيك عندك أن تسقينا الغيث ليكون عمه محفوظ الكرامة بسبب نسبه لنبيك وقال العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بالخيرات الحسان

في مناقب أبي حنيفة النعمان أن الإمام الشافعي أيام كان ببغداد كان يتوسل بالإمام أبي حنيفة يأتيه إلى ضريحه يزوره ويسلم عليه ثم يتوسل إلى الله تعالى به في قضاء حاجته ونقل صاحب البدائع عن ابن الجوزي أن الخضر كان يحضر مجلس فقه أبي حنيفة في كل يوم وقت الصبح يتعلم من

علم الشريعة فلما مات أبو حنيفة سأل الخضر ربه أن  
يرد إلى أبي حنيفة روحه في قبره حتى يتم له علوم  
الشريعة فكان يأتي كل يوم وقت الصبح على عادته  
يسمع منه مسائل الفقه والشريعة بعد موته وقد بت  
أيضا أن الإمام أحمد بن حنبل توسل بالإمام الشافعي  
حتى تعجب ابنه أي ابن الإمام أحمد فقال الإمام أحمد  
إن الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن فانظر  
لهذين من خلف وعوض. وذكر العلامة بن حج في كتابه  
الصواعق المحرقة لإخوان الضلال والزندقة أن الإمام  
الشافعي توسل بأهل البيت النبوي حيث قال:  
آل النبي ذريعتي \* وهم إليه وسيلتي \* أرجو بهم  
أعطي غدا \* بيدي اليمين صحيفتي

وقد ذكر القرطبي في تفسيره عن الإمام علي قدم  
علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام، فرمى  
بنفسه على قبر رسول الله ﷺ وحثا على رأسه من ترابه،  
فقال: قلت يا رسول الله فسمعنا قولك، ووعيت عن  
الله فوعينا عنك، وكان فيما أنزل الله عليك (ولو أنهم إذ  
ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم  
الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا) وقد ظلمت نفسي  
وجئتك تستغفر لي، فنودي من القبر أنه قد غفر  
لك. ذكر ذلك غير واحد من المتقدمين والمتأخرين  
بأسانيد جيدة منهم القاضي عياض في الشفا والعلامة  
هبة الله في كتابه توثيق عرى الإيمان وقد ذكر أبو عبد  
الرحمن محمد بن عبد الله بن عمرو المكنى بالعتيبي  
قال كنت جالسا عند قبر رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال  
السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: (ولو أنهم إذ  
ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم  
الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا) وقد جئتك مستغفرا  
من ذنبي مستشفعا بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه \* فطاب  
من طيبهن القاع والأكم  
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه \* فيه

العفاف وفيه الجود والكرم  
قال فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال لي يا عتيبي الحق  
الأعرابي وبشره أن الله قد غفر له. وفي رواية غير  
هذه الحق الأعرابي وبشره بأن الله قد غفر له  
بشفاعتي فخرجت فلم أجده. قد ذكر هذه القصة خلافاً

كثيرون منهم ابن عساكر في تاريخه والحافظ أبو  
الفرج ابن الجوزي في كتابه مشير الغرام  
الساكن وقد ذكرها غيرهما بأسانيد منهم الإمام  
العلامة المتفق على علمه ودينه وزهده أبو زكرياء  
يحيى بن شرف النووي قال في زيارة قبره: إنها من  
أعظم القربات وأفضل المساعي، قال وإذا انتهى إلى  
قبره وقف قبالة وجهه وتشفع به إلى ربه ومن أحسن  
ما يقوله ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحسنين له  
وذكر ما تقدم فأفاد النووي أن أصحاب الإمام الشافعي  
استحسنوا ذلك وحكوه

عن غيرهم وأفاد شمول الآية للحياة والممات وأنه  
يستشفع إلى ربه وساق ذلك مساق ما هو متفق عليه  
ولم يتعرض لذلك أحد بالإنكار في سائر الأعصار. وزاد  
الإمام الحصني البيهقي الآتين على ما قاله الأعرابي  
قال:

وفيه كل خصال الحمد قد جمعت \* فلذ به  
فهو من ترعى له الذمم  
وهو الذي يرتجى في كل معضلة \* ففي  
المعاد إذا زلت بنا القدم

وقد ذكر ابن عساكر في تاريخه أن ابن القاسم بن  
ثابت البغدادي رأى رجلاً بمدينة النبي ﷺ أذن الصبح عند  
قبر الرسول ﷺ فقال فيه الصلاة خير من النوم فجاءه  
خادم من خدم المسجد فطمه حين سمع ذلك منه  
فبكى واستغاث بالنبي ﷺ وقال يا رسول الله في حضرتك  
يفعل بي هذا الفعل قال فضربه الفلج في الحال فحمل  
إلى داره فمكث ثلاثة أيام ثم مات. وقال أبو العباس أحمد  
المقري الضرير التونسي جعت بالمدينة ثلاثة أيام  
فجئت إلى القبر الشريف وقلت يا رسول الله جعت ثم  
نمت ضعيفا فلكرتني جارية برجلها فقامت فقالت أعزم  
فقامت معها إلى دارها فقدمت لي خبزا بر وتمرا  
وسمنا وقالت كل أبا العباس فقد أمرني بهذا جدي  
رسول الله ﷺ قال أبو العباس فرجعت إلى بلادي فرأيت  
النبي ﷺ بمصر بعد رجوعي فقال أوحشتنا أبا العباس  
فرأيتك وكنت أكثر قراءة القرآن عند ضريحه. قال  
الباجي كم قرأت من ختمة عند قبره قال ألف  
ختمة. قال أبو العباس أحمد اللواتي كانت عند بمدينة  
فاس امرأة وكانت إذا أصابها أمر أو شيء يفرعها جعلت

يدها على عينها واستغاثت بالنبي ﷺ فتعاث فلما توفيت قال لي غريب لها رأيته في النوم فقلت لها يا عمة أرايت الملكين الفتانين فقالت نعم جاءاني فعندما رأيتهما جعلت يدي على عيني وقلت يا محمد فلما نزعتهما عن وجهي لم أرهما وهذه كما قال الإمام الحصري ذكرها بعض الأئمة وعزاها وقال إن الاستغاثة به ﷺ من بعيد كالاستغاثة به عند قبره ﷺ وعن أبي إسحاق الحسين قال كنت بين مدينة النبي ﷺ والشام ففضل لنا جمل قال وكان قد بلغني عن الشيخ أحمد الرفاعي أنه قال من كانت له حاجة فليستقبل نحو قبري يمشي سبع خطوات ويستغيث فإن حاجته تقضى فلما استقبلت وقصدت الاستغاثة هتف بي هاتف

أما تستحي من رسول الله ﷺ وتستغيث بغيره قال فتحولت نحو المدينة فقلت يا سيدي يا رسول الله أنا مستغيث بك قال فوالله ما استكملت ذلك إلا والجمال يقول لي هذا الجمل قد وجدناه وسافر بعض الفقراء لقصد زيارة قبر النبي ﷺ فتاه في الطريق فاستغاث بالنبي ﷺ فظهرت قبة العباس ﷺ وبينه وبين الموضع المذكور يومان أو نحوهما. وقال أبو الحجاج يوسف بن علي سمعت أبا عبد الله بن سالم يقول رأيت في المنام كأي في بحر النيل وإذا بتمساح رأيت أن يقفز علي فخفت منه وإذا بشخص وقع لي أنه النبي ﷺ فقال لي إذا كنت في شدة فقل أنا مستغيث بك يا رسول الله وكنت أفعل ذلك فأغاث فأراد بعض الإخوان السفر لزيارته ﷺ وكان ضريرا فحكيت له الرؤيا وقلت له إن كنت في

شدة فقل أنا مستغيث بك يا رسول الله فسافر في تلك الأيام فجاء إلى رابع وهي غزيرة الماء وكان له خادم قد ذهب لطلب الماء قال فبقيت القرية في يدي وأنا في شدة من طلب الماء فذكرت ما قلت لي فقلت أنا مستغيث بك يا رسول الله وإذا أنا بصوت زم قربتك وسمعت صرير الماء في قربتي

إلى أن امتلأت ولم أعلم من أين أتى القائل. وقال سمعت أبا الحسن العسقلاني يقول ركبنا البحر في طلب جدة فهاج علينا البحر ورمىنا ما معنا فيه وأشرفنا على التلف فجعلنا نستغيث بالنبي ﷺ ونحن نقول وامحمداه وكان معنا رجل صالح فقال ارفقوا يا حجاج

إنكم سالمون رأيتم النبي في المنام فقلت يا رسول الله أمتك يستغيثون بك قال فالتفت إلى أبي بكر الصديق وقال يا أبا بكر انجده قال فكانت عيني ترى أبا بكر وأدخل يده في مقدم الحلق ولم يزل يجذبها حتى دخل بها البر فلم تستغيثون فأنتم سالمون. فسلمنا فلم نر بعد ذلك إلا خيرا والحمد لله. فلا فرق في التوسل بالأنبياء وغيرهم من الصالحين بين كونهم أحياء أو أمواتا إنهم في كلتي الحاليتين لا يخلقون شيئا وليس لهم تأثير في شيء وإنما الخلق والإيجاد والتأثير لله وحده لا شريك له في كل ذلك وعلى أن الأنبياء وغيرهم من الصالحين بعد انتقالهم إلى الآخرة أكثر يقظة ونفعا منهم في حياتهم ومن هذا أنه لما صالح سيدنا عمر بن الخطاب أهل بيت المقدس وقدم عليه كعب الأحبار وأسلم وفرح به سيدنا عمر وبإسلامه قال له سيدنا عمر هل لك أن تسير معي إلى المدينة وتزور قبر النبي وتنتفع بزيارته قال نعم يا أمير المؤمنين فهذا صريح في النذب إلى زيارة قبره وشد الرحال وإعمال المطي إليه. قال الإمام فخر الدين الرازي في كتابه المطالب العالية: أن الإنسان إذا ذهب إلى قبر الإنسان قوي النفس كامل الجوهر شديد التأثير ووقف هناك ساعة وتأثرت نفسه من تلك التربة وقد عرفت أن لنفس ذلك الميت تعلق بتلك التربة أيضا فحينئذ يحصل لنفس هذا الزائر الحي ولنفس ذلك الميت ملاقة بسبب اجتماعهما على تلك التربة فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرأتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى الأخرى فكلما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف البرهانية والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة من الخضوع لله والرضا بقضاء الله ينعكس منه نور إلى روح ذلك الزائر الحي وبهذا الطريق تكون الزيارة سببا لحصول المنفعة الكبرى والبهجة

العظمى لروح الزائر ولروح المزور وهذا هو السبب في شرعية الزيارة ولا يبعد أن تحصل فيها أمور أخرى أدق وأغمض مما ذكرنا وتمام العلم بحقائق الأشياء ليس إلا عند الله. وقال العلامة التفتازاني

في شرح المقاصد بعد مقدمة بل الظاهر من قواعد الإسلام أنه يكون للنفس بعد المفارقة إدراكات جزئية

واطلاع على بعض الجزئيات أحوال العباد لاسيما الذين كان بينهم وبين الميت تعارف في الدنيا ولهذا ينتفع بزيارة القبور والاستغاثة بنفوس الأخيار من الأموات عن استئزال الخيرات واستدفاع المضرات فإن للنفس بعد المفارقة تعلقا ما بالبدن وبالتربة التي دفن فيها فإذا زار الحي

تلك التربة وتوجهت نفسه تلقاء نفس الميت حصل بين النفسين ملاقة وإفاضة. وقال التفتازاني أيضا وبالجملة فظهور كرامات الأولياء يكاد يلحق معجزات الأنبياء وإنكارها ليس بعجيب من أهل البدع والأهواء إذ لم يشاهدوا ذلك في أنفسهم قط ولم يسمعوا به من رؤسائهم الذين يزعمون

أنهم على شيء مع اجتهادهم في أمور العبادات واجتناب السيئات فوقعوا في أولياء الله أصحاب الكرامات يمزقون أديمهم ويمضغون لحومهم لا يسمونهم إلا باسم الجهلة المتصوفة ولا يعدونهم إلا في أعداد المبتدعة ولو لم يعرفوا أن مبنى هذا الأمر على صفاء العقيدة ونقاء السريرة واقتفاء الطريقة واصطفاء الحقيقة ومن هذا أن فقهاء بغداد قالوا للمتوكل إن الجنيد قد تزندق هو وأصحابه فقال لهم الملك وكان يميل إلى الجنيد يا أعداء الله ما أردتم إلا أن تنفوا أولياء الله من الأرض واحدا بعد واحد قتلتم الحلاج وأنتم ترون له كل يوم عبارة تزددرون وهذا الجنيد لا سبيل لكم إليه حتى تغلبوه بالحجة فأجمعوا له الفقهاء وأعملوا له مجلسا فإن غلبتموه وشهد الناس بأنكم غالبون عليه قتلته وإن هو غلبكم والله لأمشين عليكم بالسيف حتى لا يبقى منكم أحد على الأرض فجمعوا له الفقهاء وبعث الملك إليه فجاء هو وأصحابه إلى باب القصر فدخل الجنيد وترك أصحابه وقعد فقام له أحد الفقهاء يسأله في مسألة فسمعه القاضي علي بن أبي ثور فقال لهم أتسألون الجنيد قالوا نعم فقال لهم أفيكم من هو أفقه منه فقالوا لا فقال يا عجا هو أفقه منكم في علم تنكرونه عليه ولا تعرفونه كيف تسألون رجلا لا تدرون ما يقول فبهت القوم وسكتوا زمانا ثم قالوا ما العمل يا قاضي المسلمين فرد القاضي وجهه إلى الأمير وقال له اترك الجنيد وأخرج إلى أصحابه صاحب سيفك وهو الوليد بن ربيعة ينادي



فيهم من يقوم إلى السيف فأول من يقوم نسأله فقال الملك لم ذاك نروع القوم ولم تظهر لهم حجة لا يحل لنا ذلك فقال القاضي ياأمير المؤمنين إن الصوفية يحبون الإيثار على أنفسهم حتى لأنفسهم فأذن من ينادي أيكم يقوم للسيف فالرجل الذي يقوم مبادرا إلى السيف هو أكثر الناس جهلا وأكثرهم صدقا لله فيقوم يؤثر أصحابه بالعيش بعده

فإذا قدم أجهلهم علينا ناظره الفقهاء فيما يطلبون منه فإن الفقهاء لم يتغلبوا عليه ولم يتغلب عليهم فإن الصفح يقع بيننا وبينهم فإنها قد نزلت مصيبة عظيمة لا ندري لمن يقع النجاة منها فإنه إن قتل

الجنيد نزلت داهية في الإسلام فإنه قطب الإيمان في عصرنا وإن قتل العلماء فهي مصيبة عظيمة فقال له الأمير أصبت ثم عطف على الوليد وقال له افعل ما يقول القاضي وخرج الوليد وهو مقلد

سيفه فوق رؤوس المريدين وهم مائتان وسبعون رجلا قعودا ناكسين رؤوسهم ذاكرين الله تعالى فنادى فيهم أفيكم من يقوم للسيف فقام له رجل يقال له أبو الحسن النوري فقال الوليد ما رأيت الطائر أسرع منه فوثب قائما بين يدي فعجبت من سرعة قيامه وقلت يا هذا أعلمت لم قمت قال نعم علمت أن الدنيا سجن المؤمن فأحببت أن أخرج إلى دار الفوز وأن أوتر أصحابي علي بالعيش

ولو ساعة ولعلني أقتل فيطفا الشر بي فيسلم جميعهم ولا يقتل أحدا غيري قال الوليد فعجبت من فصاحته وقلت له أجب القاضي فتغير لونه وسالت عبرته على خده فقال أودعاني القاضي قلت نعم دعاك فقال حق علي إجابته فدخلت وهو معي فأخبرت الملك والقاضي بقصته فتعجبا منه وسأله

القاضي قائلا له من أنت الذي تسألني وقال له أنا قاضي القضاة فقال له إذا لا رب غيرك ولا معبود سواك أنت قاضي القضاة وهذا يوم الفصل والقضاء والناس قد حشروا ضحى فأين النفخة في الصور التي قال الله فيها (ونفخ في الصور فصعق من في السموات والأرض إلا من شاء الله) فهل أنا ممن صعق أم أنا ممن شاء الله الذي لم أشهد النفخ فبهت القاضي زمانا وقال يا هذا أجعلت مني إلها قال معاذ

الله بل أنت الذي تألهت حين تسميت بقاضي القضاة وليس فاضي القضاة إلا القاضي الذي يقضي ولا يقضى عليه أضافت عليك الأسماء أما كفاك قاضي المسلمين أو أحد الفقهاء أو أحد من عباد الله حتى تسميت بقاضي القضاة إذا استكبرت أن تقول أنا علي بن أبي ثور فما زال يقرعه حتى بكى القاضي وبكى الملك ببكائه وبكى الجنيد وقال لتلميذه أقصر من عتابك للقاضي فقد قتله فحلى سبيله فلما أفاق القاضي قال يا أبا الحسن أجبني عن مسألة وأنا أتوب إلى الله بين يديك فقال له أبو الحسن اذكر مسألتك فأني نسيتها فأعادها عليه فنظر عن يمينه وقال أتجاوبه ثم قال حسبي الله ثم فعل عن يساره مثل ذلك ثم نظر أمامه وقال أتجاوبه ثم قال الحمد لله ثم رفع رأسه إلى القاضي وقال له أما قولك من أنت فأنا عبد الله لقوله تعالى (إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً) وأما قولك لماذا خلقت فكان الله كنزا لا يعرف فخلقني لمعرفته قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) أي ليعرفون كذا قال ابن عباس وغيره وأما قولك ما أراد الله بخلقي فما أراد بي إلا كرامتي قال تعالى (ولقد كرمتنا بني آدم) وأما قولك أين ربك منك فهو ———ني حيث أنا منه لقوله تعالى (وهو معكم أين ما كنتم) قال له القاضي أخبرني كيف هو معك ومعنا في قوله تعالى (وهو معكم أين ما كنتم) فقال هو معنا كيفما كنا معه فإن كنا معه بالطاعة كان معنا بالعون والهدى إليه وإن كنا معه بالغفلة كان معنا بالمشيئة وإن كنا معه بالمعصية كان معنا بالمهلة وإن كنا معه بالتوبة كان معنا بالقبول وإن كنا معه بالترك كان معنا بالعقاب فقال له القاضي صدقت

فأخبرني أين هو مني فقال له أبو الحسن أخبرني أين أنت منه أعلمك أين هو منك قال صدقت ولكن أخبرني بمسألة ثانية قال وما هي قال لم ملت عن يمينك حين سألتك قال له المسألة التي سألتني عنها لم يكن عندي فيها جواب لأنني ما سئلت فيها قط ولا سمعتها فلما سألتني عنها ولم يكن عندي ما أخبرك به فسألت الملك الكريم الذي يكتب في اليمين وقلت له أتجاوبه أنت فقال لي لا علم لي فقلت حسبي الله وفوضت

أمري إلى الله وعن شمالك قلت كذلك فقال وأمامك  
فقلت سألت قلبي فقال عن سره عن ربه ما أجبتك به  
فقلت الحمد لله شاكرًا على الهداية ومقرًا له بالعجز  
عن إدراك النهاية فقال القاضي يا هذا أتكلم الملائكة  
فقلت له ويحك أما ترى رب الملائكة كلمني حيث  
هداني لحجتي وكنت لا أعرفها فقال القاضي وقد رد  
رأسه إلى المتوكل يا أمير المؤمنين أترى هؤلاء فإن  
كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الأرض مسلم هؤلاء  
مصاييح الدين ودعائم الإسلام

وهؤلاء المؤمنون حقا وعباد الله المصدقون فعند ذلك  
عطف الملك على الجنيد وقال له يا أبا القاسم هؤلاء  
الفقهاء ما جمعوا لك هذا المجلس العظيم واستعدوا  
لمناظرتك إلا ليقتلوك لو غلبوك والآن أنت الغالب  
عليهم وأنا آليت على نفسي إن أنت غلبتهم أن أمشي  
عليهم بالسيف فإذا أن تغفو عنهم وإما أن يموتوا  
فقال له الجنيد معاذ الله ياسيدي أن يموت أحد منهم  
بسببي عفا الله عنا وعنهم ولا آخذ عليهم في إنكارهم  
علينا لأنهم ما ساقهم لذلك إلا الجهل وقلة العلم  
فانحل المجلس ولم يمت فيه أحد ١ وقد اجتمع مائة  
فقيه من أذكىء بغداد يمتحنون سيدي عبد القادر  
الجيلي في العلم فجمع كل واحد مسائل وجاء إليه  
فلما استقر المجلس أطرق الشيخ فظهرت من صدره  
بارقة من نور فمرت على صدر المائة فمحت ما في  
قلوبهم فبهتوا واضطربوا وصاحوا صيحة واحدة ومزقوا  
ثيابهم وكشفوا رؤوسهم ثم صعد الشيخ ٢ على  
الكرسي وأجاب الجميع عما كان عندهم فاعترفوا  
بفضله .. وأما قصد الصالحين بالزيارة والاعتقاد فيهم  
والتبرك بهم وبجاههم فهو جائز وقد أمر رسول الله ٣  
صاحبه سيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا علي بن أبي  
طالب رضي الله عنهما أن يقصدا أويساً القرني  
ويسألاه الدعاء والاستغفار كما في صحيح مسلم  
وتقدم الكلام على هذا قريبا وسيأتي له ذكر في باب  
كرامات الأولياء إن شاء الله تعالى .. وأما التبرك بالآثار  
فقد كانت برده عند كعب بن زهير يتبرك بها ثم  
اشتراها معاوية من أولاده بثلاثين ألف درهم ولم تزل  
الخلفاء يتبركون بها وقد كان في قلنسوة خالد بن  
الوليد ٤ شعرات من شعر النبي ٥ حملها معه تبركا ذكره

القاضي عياض في الشفا وقد جاء في القرآن حكاية عن النبي يوسف   قوله:   اذهبوا بقميصي هذا فأقوه على وجه أبي يأتي بصيرا. إلى قوله: فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا   فهذا من التبرك بالآثار وقد حكاها الله تعالى عمن فعله. ومن التبرك بالآثار ما حكى أن الإمام الشافعي   لما كان بمصر رأى في المنام سيد المرسلين   وهو يقول بشر أحمد بن حنبل

بالجنة على بلوى تصيبه فإنه يدعى إلى القول بخلق القرآن فلا يجيب إلى ذلك بل يقول هو منزل غير مخلوق فلما أصبح الإمام الشافعي   كتب صورة ما رآه في منامه وأرسله مع الربيع إلى بغداد إلى الإمام أحمد فلما وصل إلى بغداد قصد منزل الإمام أحمد واستأذن عليه فأذن له فلما دخل عليه قال له كتاب أخيك فقال له هل تعلم ما فيه قال لا ففتحه وقرأه وبكى وقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله ثم أخبره بما فيه فقال الجائزة وكان عليه قميصان أحدهما على جسده والآخر فوقه فنزع الذي على جسده ودفعه إليه فأخذه ورجع إلى الإمام الشافعي فقال الإمام الشافعي ما أجازك قال له أعطاني القميص الذي على جسده فقال له الإمام أما أنا فلا أفجئك فيه ولكن أغسله وأتني بمائه فغسله وأتاه بالماء فأفاضه على سائر جسده وقد روي أن سيدنا يعقوب   قال للبشير لما أخبره بحياة سيدنا يوسف   كيف يوسف قال له إنه ملك مصر فقال له سيدنا يعقوب ما أصنع

بالملك على أي دين تركته قال على دين الإسلام فقال سيدنا يعقوب الآن تمت النعمة ومن التبرك بالآثار التبرك بغار حراء لدخول النبي   فيه واعتكافه فيه وكذلك مس الحجر الأسود لاستلام الرسول   كما استلمه ومسه خلفاء أمته وغيرهم من بقية الأمة المحمدية وقد قال القطب عبد الله بن أبي بكر العيدروشي ثياب الأولياء ملامسة لبدنهم وبدنهم ملامس لروحهم وروحهم عند ملك مقتدر فيتبرك بثيابهم ولما مات أبوه العدني أبو بكر بن عبد الله رأوا عنده صندوقا كبيرا ظنوا أن فيه دراهم ففتحوه ووجدوا فيه صندوقا آخر ففتحوه فوجدوا فيه فرد نعال ممسكة من مسك وطيب مكتوب عليه هذه نعال شيخنا

الولي سعد بن علي وذلك من اعتقاده في ملبوس  
شيخه وتعظيمه وقد كان الإمام السبكي مع سعة علمه  
وجلاله قدره يمرغ خده في دار الحديث لعل أن يمس  
خده موضع قدم الإمام النووي حتى قال:

وفي دار الحديث لطيف معنى \* أحسن  
إلى جوانحها وآوي

لعلي أن أمس بحر وجهي \* مكانا

مسه قدم النواوي

وقد ذكر بن حجر في شرح الحديث الثالث عشر من  
الأربعين للإمام النووي أن أنس بن مالك خادم رسول  
الله ﷺ أوصى ثابتا البناني أن يجعل تحت لسانه شعرة  
كانت عنده من شعر رسول الله ﷺ ففعل وقد ثبت أن  
النبي ﷺ طلب من العباس أن يسقيه من ماء سقايته  
فأمر العباس ابنه عبد الله أن يأتي للنبي ﷺ بماء آخر من  
الدار غير ما يشرب منه المسلمون لأن العباس  
استقذره وقال يا رسول الله هذاتمسه الأيدي نأتيك  
بماء غيره فقال النبي ﷺ لا إنما أريد بركة المسلمين وما  
مسته أيديهم فإذا كان رسول الله ﷺ يقول ذلك فما بالك  
بغيره فكل مسلم له بركة ونور وقد روي بإسناد صحيح  
عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يبعثه إلى  
المطاهر جمع مطهرة بكسر الميم كل إناء يتطهر منه  
والمراد ههنا نحو الحياض والمساقى المعدة للوضوء  
فيؤتى إليه بالماء فيشربه يرجوه أي راجيا

به بركة أيدي المسلمين الذين تطهروا من ذلك الماء  
وذلك شرف عظيم للمتطهرين. وفي كتاب المدخل  
قال سمعت أبا محمد رحمه الله يقول إنه كانت عندهم  
ببلاد الأندلس امرأة مسرفة على نفسها فمات على  
شر حال فراها بعض الصالحين في النوم وهي في  
حالة حسنة فقال لها أنت فلانة قالت نعم فقال لها  
كيف حالك فقالت غفر لي فقال لها بماذا وقد كنت  
وكنت قالت لما أن أخرج بجنازتي مر بها على رجل  
خياط وفي كفه ثوب لسيدي فلان فصلى علي فغفر  
لي كرامة لذلك الثوب. وقد حدث بعض أولاد سيدي أبي  
محمد الممرجاني رحمه الله أن والدته أتت إلى أبيه  
فأخبرته أن أمها قد توفيت وطلبت منه قميصا تكفنها  
فيه فأعطاه فلما أن كان من الغد أخبرها أن الملكين  
عليهما السلام جاءاها فقال أحدهما للآخر اذهب بنا

فإن ثوب المرجاني عليها فلم يتعرضا لها. وفي البخاري عن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها قالت دخل علينا رسول الله ﷺ حين توفيت ابنته فقال اغسلنها ثلاثا أو خمسا أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك بماء وسدر واجعلن في الآخرة كافورا أو شيئا من كافور فإذا فرغتن فأذني فلما فرغنا أذناه فأعطانا حقوه فقال أشعرنها إياه تعني إزاره أي اجعلن إزاره شعارها أي ثوبها الذي يلي جسدها لتنالها بركة ثوبه وفيه التبرك بأثار الصالحين ولباسهم. وأما الانتفاع بجاههم وشفاعتهم لو لم يرد فيه إلا قوله {إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيت من حيرانه البلاء} لكفى به كيف وقد جاء في ذلك عدة أحاديث منها في البخاري حديث الأبدال وفي آخره {بهم تمططرون وبهم تنصرون وبهم تسقون} وحديث {إنه ليحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته وأهل دويرات حوله} فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم. وفي شرح العقيدة السنوسية أن الإمام الأكبر الحنفي الشاذلي ومعه تلميذه سارا يمشيان على شاطئ البحر فقال الشيخ بسم الله الرحمن الرحيم وقال لتلميذه قل يا شيخي الحنفي ونزلا في الماء بجوار الشاطئ فلما وصلا إلى لجة البحر قال تلميذه لِمَ لا أقول ما قال شيخي بسم الله الرحمن الرحيم فقالها فغرق فأمسك بيده الشيخ وقال له ما سببك فأعلمه فقال له الشيخ أنت تعرفني وأنا أعرف الله وأنت عارف لاسمي وأنا عارف لاسم الله وأنت توسلت بي لأنك تعرفني وأنا أتوسل باسم الله لأنني أعرف اسمه فانظر إلى قوله قل يا شيخي الحنفي فلو لا أنه جائز شرعا لما أمره أن يقوله لأن جلالته قدره ومعرفته بالله تعالى تأبى عليه أن يترك ما لا يجوز. وقد ذكر في كتاب مجمع الأحاب في ترجمة أبي عيسى الترمذي أنه رأى في المنام رب العزة تسعا وتسعين مرة وقال إن رأيته تمام المائة لأسأله بم يحفظ علي الإسلام ويتوفاني عليه قال فرأيته فقال لي اقرأ بعد ركعتي الفجر قبل الصبح إلهي بحرمة الحسن وأخيه وجده وبنيه وأمه وأبيه نجني من الغم الذي أنا فيه يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام أسألك أن تحيي قلبي بنور معرفتك يا الله يا الله يا أرحم

الراحمين. وأما زيارة الأولياء واستحباب الرحلة إليها فقد قال الغزالي في الكتاب السابع من ربيع العبادات من الأحياء: قال صلى الله عليه وسلم " لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى " وقد ذهب بعض العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء. وما تبين لي أن الأمر كذلك بل الزيارة مأمور بها قال صلى الله عليه وسلم " كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجراً " والحديث إنما ورد في المساجد وليس في معناها المشاهد، لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة ولا بلد إلا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة إلى مسجد آخر، وأما المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل، نعم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله أن يشد الرجال إلى موضع فيه مسجد وينتقل إليه بالكلية إن شاء ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل من شد الرجال إلى قبور الأنبياء ﷺ مثل إبراهيم، وموسى، ويحيى، وغيرهم، فالمنع من ذلك في غاية الإحالة، فإذا جوز هذا فقبور الأولياء والعلماء والصلحاء في معناها، فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة كما أن زيارة العلماء في الحياة من المقاصد. وقال الإمام النووي معناه لا فضيلة في شد الرجال إلى مسجد غير هذه الثلاثة ونقله عن جمهور العلماء وقال العراقي من أحسن محامل الحديث أن المراد منه حكم المساجد فقط وأنه لا نشد الرجال إلى مسجد من المساجد غير الثلاثة وأما قصد غير المساجد من الرحلة في طلب العلم وزيارة الصالحين والإخوان فليس داخلاً فيه وقد روي ذلك مصرحاً به في رواية الإمام أحمد ولفظه { لا ينبغي للمصلي أن يشد رحاله إلى مسجد ينبغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا } فشد الرجال لزيارة الأولياء والصلحين غير ممنوعة شرعاً وقال النووي ويستحب الإكثار من الزيارة والوقوف عند قبور أهل الخير قال السمعاني فإن لهم في برازهم من التصرفات والبركات ما لا يحصى فظهر من هذا كله أن الرحلة لزيارة أولياء الله قربة لكل مسلم طالب للفضل

والخيرات أن يلتمس البركات والنفحات واستجابة الدعوات ونزول الرحمات في حضرات الأولياء ومجالسهم وجمعهم أحياء وأمواتا وعند قبورهم وحال ذكرهم وعند كثرة الجموع في زياراتهم وعند مذاكرة فعلهم ونشر مناقبهم. وأما مس المشاهد فقد قال الإمام أحمد لا بأس به ويقول المحب الطبري وابن أبي الصيف يجوز تقبيل البر ومسه وعليه عمل العلماء والصالحين كما تقدم القول في الكلام على مس المشاهد في شرحنا لزيارة روضة النبي ﷺ وأما حمل التراب من قبور الصالحين فقد أجاز به بعض العلماء ومنعه بعضهم كما قيل:

حمل تراب القبر للتبرك \* أمر

حرام غُدَّ عنه واترك

ورد عليه بعضهم بقوله: حمل تراب القبر للتبرك \* الأقفهي أجاز له لا تترك

وفيما نقلناه في هذا الباب كفاية وهداية لأولي الألباب والله يهدي من يشاء إلى الصواب.

[ تنبيه: ] ويقابل هذه الزاوية. زاوية الرقاني من جهة الغروب قرية كثيرة السكان تسمى بتمادين

وأهلها معروفون بالبحث عن العلم والمسائل العويصة منه ولهم محبة في العلم وأهله وحفظ القرآن

والمحافظة على الدين ورعايته وفيها بعض الكتاوين والعروسيين والفلايين من عرب حمير. ويسامت

هذه القرية من الجهة الشرقية قرية تسمى بتلاف وهي باب الصحراء الكبرى التي يمر بها كل مسافر أو

قادم من مالي على القوافل أو السيارات وبها المركز الحكومي برفان وبها رجل فاضل كريم اسمه الحاج

قدور بن عبد السلام الاقصاوي يكرم الوافدين عليه من كل الجهات وكان ابنه

السيد المختار يقرأ علينا فنعم الأب ونعم التلميذ وبجانب هذه القرية قرية يقال لها تاعرايت وبها مقبرة

قديمة وفيها كثير من الأولياء ويعظمها الناس كثيرا وكل من وجبت عليه اليمين فإنه يذهب إليها للحلف

ومن حلف بها على الحنث فإنه يظهر عليه أمارات الكذب على ما يحكى. ويقابل

هاتين القريتين من الجهة الشرقية قرية كبيرة يقال لها تاوريرت وسكانها من عرب أقدوع من أجود الناس



وأكرمهم وأشجعهم وهي أول قرية وطأتها قدمي أول  
قدومي لتوات وسكانها أخوال الشيخ سيدي مولاي عبد  
الله الرقاني وبجانبها قرية خربة مدفون بها الولي  
الصالح السيد محمد المخفي يقال إنه من أبناء الولي  
الصالح السيد أحمد بن عبد الصادق وتسمى هذه القرية  
بأزرافيل وبشرق تاوريرت جبل قريب منها فيه قبر  
الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الوديعي.  
(الباب الخامس في الكلام على

توات الشرقية))

ويقابل قصر تاوريرت شرقا من جهة الجنوب فصور  
أقبلي وهي عبارة عن عدة قصور يسكنها كثير من  
الناس المختلفة الأنساب فهناك الكنتاويون ومنهم  
الولي الصالح سيدي بو نعمة وهناك عرب هلايون  
وهناك شرفاء بريشيون علويون يرجع نسبهم إلى  
الولي الصالح سيدي مولاي عمر البريشي الذي سنتكلم  
عليه ومن أبنائه الأماجد الشريف الكريم صاحب الخير  
الكثير والإحسان الجليل والإعانة للمحتاجين والعلماء  
والصالحين والطلبة في كل المناسبات ألا وهو  
الشريف السيد مولاي عمر حبيبي الموجود اليوم  
بالنجير أمد الله في عمره وأصلحه وهداه وبارك فيه  
وفي ذريته إلى يوم الدين. وهناك بين من الأنصار منهم  
الولي الصالح سيدي أحمدو الأنصاري ويوجد بأقبلي  
قبيلة من قبائل فلان أصحاب العلم والعرفان وحفظ  
القرآن ودراسة العلوم الشرعية ومن أبرزهم في وقته  
الفقيه الجليل السيد حمزة والذي تخرج على يديه  
الكثير من فطاحلة العلماء الأجلاء ومن أحفاده الفقيه  
الجليل تلميذنا السيد الحاج محمد بن محمد المختار بن  
حمزة والذي تخرج على يدينا وله مدرسة كبيرة بعين  
صالح وممن تخرج على يدي السيد حمزة المذكور  
الفقيه سيدي محمد الحسن والفقيه السيد الحاج محمد  
عبد القادر بلعالم وكلهم علماء أجلاء وانتفع منهم خلق  
كثير ويرجع نسبهم إلى العالم العلامة بن مال الفلاني  
من عرب حمير ومنها العلامة الفقيه الشيخ سيدي  
محمد عبد

[ الفصل الأول. في الكلام

الرحمن السكوتي.

على سكان أولف ]

وهي عبارة عن عدة قصور وينقسم سكان أولف إلى قسمين أولف العرب وأولاد زنان القبيلة المشهورة وبها يوجد تلميذنا العالم العلامة الجليل الفقيه النبيل السيد الحاج محمد باي بن الفقيه السيد الحاج محمد عبد القادر المتقدم الذكر وهناك توجد مدرسة كبيرة مشهورة يعلم بها العلوم الشرعية بجميع فتوتها وفروعها بجد واجتهاد من اليوم الذي تخرج على أيدينا وقد نفعه الله ونفع به خلقا كثيرا والله الحمد وهذه المدرسة كان المؤسس لها المرحوم برحمة الله السيد الحاج عمار بن الطالب سالم وإخوته بمساعدة جميع سكان أولف وهم القائمون عليها وعلى ما تحتاج إليه مع كثير من المحسنين من أهل هذه البلاد الطاهرة ولا زال ابنه المحسن البار الكريم السيد الحاج محمد بن المرحوم السيد الحاج عمار وإخوانه على طريقة أبيهم أو أكثر وإن خيرهم وإعانتهم وإحسانهم وعطاءهم الكثير واصل إلينا بلا انقطاع إلى مراكش أطال الله عمرهم وبارك فيهم وفي ذريتهم ومالهم وأحسن إليهم وأسكن والدهم جنات الفردوس مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين آمين كما إنه يوجد بأولف العرب تلميذنا الأجل المرابط السيد الحاج عبد الرحمن بن السيد إبراهيم القرافي وله مدرسة يعلم فيها العلوم الشرعية وله طلبة كثيرون وقد خدمنا بنية صادقة ومن أولف تيمقطن يسكنها العرب أولاد يحيى وأولاد الشيخ ابن عبد الكريم والطلبة أولاد الطالب المختار وبها ضريح العالم سيدي محمد بن جعفر ويوجد بشرقها ضريح سيدي عيسى في المشارق وعرب أولف كلهم في غاية الكرم والسخاء والفتوة والشجاعة ومحبة العلم وأهله ومحبة الشرفاء. وأما سكان أولف الشرفاء يقال لهم أولف الشرفاء وهم من ذرية الشريف الأكبر السيد مولاي علي الشريف وإخوتهم أولاد مولاي العربي بسالي وأولف الشرفاء هذه عدة قصور ومن تلك القصور زاوية الولي الصالح السيد مولاي هبة المشهورة بالبركات والفتوحات والكرامات والسر الطاهر وإطعام الطعام وكفالة الأيتام وأهل هفار يخدمون أهل هذه الزاوية ويحترمونهم غاية الاحترام لما ظهر لهم من الكرامات

على يد الشريف سيدي مولاي عبد الله بن مولاي الوافي وذلك أن السيد مولاي عبد الله ذهب إلى هقار وأظهروا له التعظيم بحضور بعض الشرفاء الآخرين فقال هذا الأخير بعض الكلام ينقصه فيه غيرة وحسدا فأخذت مولاي عبد الله حالة ربانية فقام على صخرة صماء وضربها برجله فساخت رجله في الصخرة الصماء وهذا ما جعل أهل هقار يخدمونهم إلى اليوم وهذه القصة شائعة عند الخاص والعام على ما يحكى وعلى رأس هذه الزاوية اليوم السيد مولاي عبد الرحمن وإخوته وإمامهم تلميذنا الفقيه السيد الحاج محمد البرمكي فنعم الزاوية ونعم القائم عليها. ومن أعيان الشرفاء الأجلاء الكرماء الأسخياء حبيبنا السيد مولاي عبد الحي بن مولاي المهدي بوديوس فأكرم به من شريف وكذلك سكان أمنوس.

وأولف الكبير وقصبة الجنات وسكان أولف جميعا شرفاء وعرب ومرابطون وغيرهم بدون استثناء في غاية الكرم والجود. وبشرق أولف قرية تسمى بتيط سكانها مرابطون كرماء أجلاء فضلاء أسخياء ويسكن معهم بغض الشرفاء من أهل الهبلة الموصوفين بالخير والكرم وحب العلم والعلماء وبها ضريح السيد عبد الرحمن والحاج. ويلى تيط من الجهة الشرقية القرية الكبيرة المشهورة المسماة بإنغر تلك القرية المشهورة قديما بالخير والفلاح والكرم والجود والعلم والصلاح والتي كافحت الاستعمار الفرنسي أعنف كفاح وأشد قتال وجهاد وكبدت المستعمر خسائر في النفوس والعتاد

يوم التقى فيها المسلمون المجاهدون من كل القبائل التواتية وغيرها المجاهدة في سبيل الله فاستشهد في ذلك اليوم الكثير من الأبطال وذلك سنة 1317 هـ ومن أجل ذلك أطلق على مدينة إنغر مدينة الشهداء أخذا من تلك الواقعة الشهيرة وأهل إنغر كلهم على جانب كبير من الفضل والكرم

ومحبة الشرفاء وأهل الصلاح والخير ويقال إن تلك القرية التي دفن فيها الشهداء تشاهد فيها الأنوار في كثير من الليالي فرحم الله الشهداء وأعاد علينا من بركاتهم.

## [ الفصل الثاني. في ذكر عين صالح ]

وما وراءها]

وسكان عين صالح معروفون بالشهامة والأنفة والفتوة والكرم الحاتمي والجود المنقطع النظير والتسامح وعدم المنازعات والشنان والخصومات حتى إنهم لا يتحاكمون ولا يترافعون إلى أي قاض كيافما كان فضلا عن الحكام وغير ما مرة تبعت الحكومة الفرنسية بالقاضي ليفصل وينظر في أموره فيمكث القاضي الأزمنة الطويلة فلا يذهب إليه أحد في أي نزاع أو حكم لما جبلوا عليه من الطمأنينة والهدوء والسكينة والثبات والاعتدال في جميع المعاملات والتصرفات وتعظيم بعضهم بعضا وتوقيره وحب الخير له وسكان عين صالح على فرقتين عرب أقحاح فضلاء فيهم أنفة العرب وكرمهم وغيره في الإسلام ومحبة أهله ومحبة العلم وأهله والشرفاء والصالحين والفرقة الثانية مرابطون يتصل نسبهم بسيدنا محمد ابن الحنفية ابن سيدنا علي كرم الله وجهه وجدهم مشهور سيدي محمد العنبري وكل من سكان عين صالح يتنافسون ويتسابقون ويتسارعون إلى فعل الخير وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون ويوجد بعين صالح مدرستان عظيمتان كبيرتان عامرتان بطلبة العلم ملء الآفاق قائمتان بالجد والاجتهاد ونشر العلم وبثه في تلك الربوع القريبة والبعيدة والطلبة يقصودونها لنيل العلم والعرفان من كل الجهات والأقطار وأهل البلد يبذلون لهذه الغاية من أموالهم الغالية والنفيسة يتغنون بهذا العمل الخالص وجه الله تعالى لا فرق بين ضعيفهم وقويهم وخاصهم وعامهم ولاسيما الأعيان منهم كعائلة السيد الحاج عباس وابن أخيه الحاج سيدي علي وأبناء عمه السيد عبد الله وإخوته وأولاد السيد الطالب عبد الله الذي كان فقيها بها فأنعم بهم وكعائلة السيد الحاج بن الحاج وهذا على سبيل المثال لا على سبيل العد والحصر وإلا فالجميع

قائم على قدر استطاعته جزى الله الجميع خيرا والتلميذان القائمان على تين المدرستين هما تلميذنا البار السيد الحاج محمد بن سيدي محمد المختار ابن الفقيه سيدي حمزة صاحب أقبلي والذي تخرج على يدنا من الرعيل الأول فتح الله عليه وعلى يديه وأعانه

على نشر العلم وبثه وكان المثال الأعلى في صدق النية في جانبنا. والثاني تلميذنا الفقيه السيد الحاج أحمد بن السيد الحاج محمد البوحامدي الجعفري فتح الله عليه وعلى يديه وعلى الجميع وأعوان الكل على القيام بما هو منوط به أمين.. ويوجد شرقي عين صالح قريتان تسميان بفقارة العرب والثانية بفقارة الزوى. يسكن الأولى

فريق من العرب الفضلاء والأسخياء ويسكن الثانية فريق من أولاد الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد الولي الشهير دفين الأبيض ويسمى بأبيض سيدي الشيخ وأولاده مشهورون بالصلاح والجود والكرم والشجاعة النادرة والجهاد في كل قطر وفي كل مصر ونسبهم يتصل بسيدنا أبي بكر الصديق

رضي الله عنه. ويوجد بهذه القرية تلميذنا الفقيه السيد الجيلالي بن السيد محمد بوعمامة فنعم التلميذ ونعم سكان القريتين ويوجد بشمال عين صالح قرية صغيرة تسمى بالساهلة وسكان من العرب الفضلاء كانوا يسكنون البادية وعادتهم الجود والكرم والسخاء الذي يعرفون به قديما لأن العرب موصوفون بالجود الحاتمي.

[ الفصل الثالث ] وأما هقار فليست معدودة من توات ويوجد بعيدا عن عين صالح وقاعدته هي التي تسمى بتمنراست وهي قاعدة الهقار جميعا ويقال لهم الطوارق يرجع نسبهم إلى طارق بن زياد المشهور وعندما زرناهم بتمنغست خرج سكانها جميعا رجالا ونساء لملاقاتنا وعندما نزلت الطائرة التي كنا على متنها كادوا أن يحطموا الحواجر التي كانت توجد بالمطار محبة وشوقا لملاقاتنا ولا تسأل عن إكرامهم وجودهم ولا سيما أعيان البلد عموما وخصوصا ولا سيما تلامذتنا فجزاهم الله عنا بأحسن جزائه. وممن يحق لنا التنويه به الأمير الجليل السيد الحاج موسى أخو الأمير الذي كان على رأس الطوارق المسمى بالسيد باي الذي كان أميرا على جميع قبائل الهقار وقد رافقنا إلى أرض الحجاز فأكرم بهما من أميرين وقد كان بهقار الفقيه السيد الحاج أحمد الغلاني تلميذ الفقيه السيد حمزة. ومن أبنائه تلميذنا السيد محمد عبد الرحمن السكوتي ابن السيد أحمد بن محمد العم والولي الصالح الفقيه

محب العلماء والشرفاء السيد محمد عبد القادر الساكن بتقرت وأما الصحراء التي توجد بين الساهلة والمنبعة وقصور توات لا يوجد بها إلا القليل من العرب الرحل وفي تلك الصحراء قرية صغيرة يقال لها انبلال سكانها مرابطون من أولاد الشيخ سيدي محمد الصالح دفين أولف وتوجد قريبها قرية مطريون يسكنها المرابطون. ومن قصور توات الغربية قصر النفيس وسكانه عرب وايت المسعود وهم موالى الشيخ السيد مولاي عبد المالك الرقاني ومنها أنزقلوف وسكانه من قبيلة البرابش والزاوية وفيها خلط من الناس عرب ومرابطون وشرفاء من شرفاء سالي والمستور وفيه شرفاء

ومرابطون من أفاضل الناس وهناك قصر كبير جدا قديم يقال له باحو سكانه من الشرفاء السباعيين أصلهم من الساقية الحمراء ويظهر على أهله الخير والصلاح ومحبة العلم وأهله ومسجدهم لا يخلو غالبا من عالم وكان يؤم الناس به العالم الشهير والولي الصالح السيد المغيلي من أحد قصور أقبلي وهو من تلامذة الفقيه السيد حمزة وكان يرى النبي ﷺ كثيرا هو وزوجته كذلك وكان يقول لهم على المقام بهذا المسجد إلا أني أرى النبي ﷺ فيه وله ولدان السيد المنوفي والسيد محمد الأمين وهما من تلميذان لنا ويقرب من باحو ضريح الولي الصالح الشريف الأبرك السيد مولاي عمر البريشي

صاحب الفتوحات والبركات وأبناءؤه مباركون يغلب عليهم الجذب وهناك يسكن خادمنا الصادق المخلص الأمين الحاج مبارك بن سالم وإخوته بارك الله فيهم. وأصل هؤلاء الشرفاء من قرية مغربية يقال لها الريش بتاقلالت ومن ذرية مولاي عمر هذا الشريف السيد مولاي عمر حبيبي الذي

كان جده قائدا بأقبلي وهو اليوم بالنيجير فهو من حفدة الولي الصالح سيدي مولاي عمر فنعم الشريف الفاضل الكريم السخي الكثير الخير والإحسان لنا جراه الله بأحسن جزائه وبإبارك فيه وفي ذريته إلى يوم القيامة آمين. ومن بريش قصبة الحاج أمبارك الذي أصله من باحو. ويوجد بقرب بريش قرية يقال لها تينورت سكانها من عرب هداج وهم من أفاضل الناس

وأهل هذه القصور كلها من أفاضل الناس وأكرمهم خلقا وخلقاً..

[ الباب الخامس. في التعريف بسكان سالي أصحاب المقام العالي ]

[ من شرفاء ومرابطين وعرب ومن معهم من الموالي ]

[ الفصل الأول ] سالي عبارة عن عدة قصور متصلة تصل إلى اثني عشر قصراً متقاربة جداً لا يفصل بين القصر والقصر إلا البساتين وأقدم قصر بسالي هو قصر المنصور وسكانه الأقدمون من البرامكة الذين قدموا من العراق بعد ما شردهم هارون الرشيد وأجلاهم عن العراق فسكنوا توات كسالي وبوعلي وغيرهما من القصور التواتية مع من وجد فيها من القبائل الساكنة هناك قبلهم ويظهر أنهم كانوا أهل سطوة وكلمة نافذة وحدة وشوكة في أيامهم على ما يحكى.

[ الفصل الثاني ] أجلى هارون الرشيد البرامكة وشردهم وأخرجهم من العراق سنة 187 هـ وقتل جعفر بن يحيى في ليلة الجمعة فاتح صفر من تلك السنة نفسها وهو ابن سبع وثلاثين سنة وكرم البرامكة مشهور عند الخاص والعام حدث عن البحر ولا حرج ولما قدموا توات وجدوا بها قبائل شتى من العرب كما أن هذا القصر كان يقيم به قبائل زناتة وصنهاجة من قبائل البربر بعد الرومان الذين كانوا بها حتى فتحها الإسلام في خلافة سيدنا عثمان بن عفان أيام الفتوحات الإسلامية ومن ذلك الوقت استقر به الإسلام إلى يومنا هذا ولله الحمد.

[ الفصل الثالث ] وكان يوجد بتوات قصور عديدة كثيرة من قصور اليهود الذين كانوا تحت ذمة

المسلمين حتى إنه يقال أنه كان يوجد بها من قصور اليهود ثلاثمائة وستة وستون 366 قصراً حتى أجلاهم منها الشيخ السيد محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي سيأتي الكلام عليه وعلى هذه القصة بالذات بحول الله وقوته ويسكن في قصر المنصور علاوة من البرامكة أفراد قليلون من ذرية سيدنا عبد الله بن جعفر ويوجد به أيضاً مرابطون من الأنصار من ذرية الولي الصالح سيدي الشيخ دفين سالي مع الشرفاء السالين الذين

تقام لهم زيارة فاخرة كبيرة في كل سنة في يوم  
خمس وعشرين إبريل 25 من كل سنة ومن ذرية هذا  
الولي الصالح السيد الحسن بن سيدي الشيخ تلميذنا  
وتلميذنا السيد الحاج أحمد بن السيد المهدي إمام  
مسجد المنصور رحمه الله وإخوته ومنهم أخوه  
الأنصاري تلميذنا السيد الحاج الحسن بن السيد  
المهدي الموجود بالنيجير ويوجد بالمنصور تلميذنا الأبر  
الشريف السيد مولاي الطيب الذي قرأ علينا هو وأبوه  
المرحوم السيد مولاي علي بن مولاي  
الحسين مع كبر سنه إذ ذاك وكانت له ذاكرة وحفظ  
عجيب ومن البرامكة تلميذنا الفقيه الأجل العالم الأكبر  
السيد الحاج المختار بن أحمد البرمكي إمام مسجد  
أولاد مولاي عبد الواحد والذي كان آية من آيات الله في  
الحفظ والتحصيل والاجتهاد وأولاده كلهم تلامذة لنا  
أصلحهم الله وهداهم وبارك فيهم وفي ذاك النسل  
كله وكان بقصر المنصور السيد محمد عبد الله بن  
الطالب أحمد البرمكي وكان من قبيلة الفقيه السيد  
محمد البركة البرمكي وحفدته تلامذة لنا وكذلك السيد  
محمد البركة بن الطالب أحمد تلميذ لنا وسكان بقية  
قصور سالي كله شرفاء باستثناء قصبة أولاد النجار  
فإنهم من الموالى وبها تلميذان لنا المسميان بالصالح  
الكبير والصالح الصغير والشرفاء السالون كلهم من  
أب واحد وهو مولاي علي الشريف الذي قدم من  
تافلات إلا أبناء أولاد مولاي العربي وأبناء مولاي  
الحفيظ فإنهما أبناء أخيه ومولاي علي الشريف هذا  
قدم سالي وتزوج امرأة من البرامكة فولدت له ولديه  
سيدي محمد ومولاي عبد الرحمن وعقب سيدي محمد  
هذا أولادا خمسة أكبرهم مولاي عبد الكريم والثاني  
مولاي محرز والثالث مولاي عبد الواحد والرابع مولاي  
محمّد والخامس مولاي العباس وأولاد مولاي عبد  
الكريم يسكنون القصر الجديد والعلوشية التي بها  
مدرستنا وأولاد مولاي محرز يسكنون بقصر أبيهم الذي  
يسمى بالمحارزة والذي بع زاوية الشريف المحسن  
السيد الحبيب بن مولاي عبد الله تلك الزاوية التي  
تطعم الطعام للصادر والوارد والضيف والمسكين وابن  
السبيل فضيفها لا يضام ويتلقى في كل وجبة ما  
يشتهي من أنواع الطعام مع البشاشة والاحترام ولا



زالت قائمة على ما تركها المحسن الأول وقد أدركت عند مقدمنا سالي من رجالها والقائمين عليها من ذرية وحفدة ذلك المحسن الأول السيد مولاي عبد الله بن السيد محمد وابن أخيه الكريم الزاهد الفاضل السيد مولاي امبارك بن مولاي عبد الرحمن وكان يقرأ علينا مع ابنه السيد مولاي عبد الرحمن والسيد مولاي أحمد وكانا يتقاسمان الأضياف

لكل واحد منهما يوم يقوم فيه بكل ما يحتاج له الوافدون على الدوام وتفرغ من المحارزة قصبة أبا بله التي تسمى بقصبة القائد مولاي عبد الرحمن مع أبناء عمه ومن أولاد القائد مولاي عبد الرحمن خليفتنا وتلميذنا الأكبر الشريف الأنور السيد مولاي الحبيب وهو القائم بأمور مدرستنا سابقا بسالي فأحسن القيام بها وساسها ودبر أمورها أحسن تدبير وأحسن قيام وهو القائم اليوم بعون الله وقوته على مدرستنا الثانية الكائنة بتسفاوت فنظمها وأحسن تنظيمها وقام بها أحسن قيام جزاه الله الملك العلام. وتفرغ من المحارزة قصبة بني هاشم والتي يقال لها قصبة سيدي الشريف وفيها ابن

الشريفة خادمتنا خدوجة مولاي هاشم وأما أولاد مولاي عبد الواحد فهم قليلون لهم قصبة واحدة ليس معهم فيها إلا مواليتهم قصور سالي وتوات وأدركت في هذا القصر الشريف السيد محمد الغول وكان رجلا صالحا طيب السريرة وخلف أولادا فضلاء مولاي علي ومولاي عبد الله

وهو تلميذ لنا ومولاي عبد الواحد ومولاي علي له أولاد فضلاء أجلاء مولاي عبد القادر ومولاي عبد الكريم فنعم الأولاد ونعم الوالد ونعم الآباء ويوجد بهذا القصر صديقنا وحبينا السيد مولاي علي الشريف بن مولاي عبد القادر وأبناءؤه فنعم الأب ونعم الأبناء وفيه أيضا أولاد مولاي عبد الله أبا هدي أصهارنا مولاي أحمد وإخوته وفيه أيضا أولاد تلميذنا السيد الحاج المختار بن أحمد البرمكي فنعم الأولاد وفيه تلميذنا عبد الخالق بن المبروك فتح الله عليه وأما قصر العلوشية فهم من ذرية الشريف السيد مولاي عبد الكريم بن سيدي محمد بن مولاي علي الشريف المتقدم الذكر وهذه القصبة الصغيرة التي تسمى بالعلوشية اختطها ووضع أساسها

الولي الصالح والطيب الفائح الشريف سيدي محمد المهدي بن السيد مولاي عبد الكريم ولما بناها في مكان قريب ما البساتين وبعيد عن قصر أبيه قال إخوته إن محمد المهدي بنى بيتا للفيران فلما سمع كلامهم قال رحمه الله إن قصيتي هذه سيكون لها شأن عظيم بن القصور وإن لم يأتها مختارا فسيأتيها اضطرارا وكرها وإن الله قد أبر قسمه وإن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرههم كما قال ﷻ ولم يظهر هذا الازدهار إلا في أيام حفيده السيد مولاي المهدي بن مولاي أحمد وإخوته مولاي الحسن ومولاي عبد الله ومولاي عبد الكريم ففي تلك المدة بدأت تزدهر ويظهر فضلها على غيرها وهذه القصة من أصغر قصور سالي وأقل أهلها مالا ولكن بسبب ذلك الدعاء الذي صدر من هذا الولي الصالح أصبحت أكثرهم مالا وتجارة لما أعطى الله لمولاي المهدي وإخوته من محبة العلم وأهله وتيسيره وبقدرته ساقطنا الأقدار إلى تلك الديار دون معرفة سابقة بيننا وبينهم وإنما هي من أحسن المصادفات فوجدنا فيهم أحسن من الأهل كما قيل:

نزلت على آل المهلب شاتيا \* بعيدا عن

الأوطان في الزمن المحلي

فما زلت في معرفتهم وافتقادهم \*

وبرهم حتى حسبتهمو أهلي

ولما التقت الإرادتان واجتمعت الكلمات على تأسيس هذا المعهد والمركز العلمي على تقوى من الله ورضوان وعلى كلمة سواء فارتفع نوره في الآفاق حتى صار منهلا واسعا عذب المذاق فكان بعون

الله وقوته هو الإكسير والترياق ونرجو من الله أن يبقى مركزا عامرا بالعلم والمتعلمين إلى أن يوم التلاق وأن يعين من ساهم في عمارته لصالح الدين والذرية وكثرى الأرزاق بحق الفتاح الرزاق وعند ما التقت الإرادتان وحسنت النيتان شرعنا في العمل بعون الله وقوته فجاءت الطلبة من كل قصور سالي وما جاورها وضافت الدار التي منا نقرأ فيها وكان من جملة الطلبة الشريف الأكرم

والأبر الأفخم السيد مولاي امبارك بن مولاي عبد الرحمن صاحب الخير الكثير صاحب زاوية المحارزة ولما نظر إلى هذا الضيق تبرع علينا بقطعة كبيرة من

الأرض كانت له بين العلوشية وقصبة أولاد مولاي الشريف وهذه البقعة في قلب وسط قصور سالي فكتبها لنا بالعدول وعندها شرع

سيدي المهدي وإخوته في بنائها فبنوا لنا بها دارا للسكنى ومجلسا للتدريس ومدرسة كبيرة لسكنى الطلبة وتكلف السيد مولاي عبد الله بن مولاي أحمد بالخدمة وشمر عن ساق الجد حتى أكمل بناءها وجهازها بأحسن ما يحتاج إليه المقام من السعة فجاءت كما ينبغي ورحلت لها الطلبة من كل الآفاق وازدحم عليها طلاب العلم من كل الجهات فتكفل السيد مولاي المهدي وإخوته بإطعام الطعام للطلبة ليلا ونهارا وكل ما يحتاجون وفي كل سنة عند حلول الزكاة يعطون لكل طالب ما تيسر من الدراهم والكسوة فأقبلت الناس كبيرا وصغيرا على العلم وكان الفضل في ذلك كله لمولاي المهدي وإخوته والبدال على الخير كفاعله وكذلك عمهم الأكبر سيدي مولاي عبد الكريم كان يعين الطلبة على قدر حاله من إطعام الطعام ولمولاي عبد الكريم هذا أربعة أبناء مولاي أحمد وهو في غاية الجود والكرم والإحسان والسيد مولاي عبد الله وسيدي محمد ومولاي محمد وأما عمهم مولاي محمد فتحا فلم ندركه وله ولدان السيد مولاي أحمد وهو الشريف الجواد الكريم وأخوه مولاي عبد الله وكذلك أدركت أم مولاي المهدي السيدة فاطمة بنت مولاي أحمد من أولاد مولاي العربي وكانت من المحسنات الصالحات وفي قصر العلوشية هذا صهرنا الشريف السيد مولاي المهدي بن سيدي أبا وهو نعم الصهر وفيه أيضا صهرنا وتلميذنا الصادق الأبر والصالح الأغر حساني مولاي عبد الكريم بن السيد مولاي المهدي باعيسى أكرم به وأنعم به من ابن وتلميذ وصهر وهذه القصبة بآرك الله في سكانها وفيها فإنهم أحسنوا إلينا وأحسنوا إلى أنفسهم وإلى جميع المسلمين أحسن الله إليهم بجاء النبي الأمين. وقد حقق الله دعاء جدهم بهذه القصبة حيث بآرك الله فيها وأكثر مال أهلها وانتشر صيتهم في البلاد وجاءتها الناس من كل حدب وصوب بعضهم يطلب العلم وبعضهم يطلب الفتيا وبعضهم يطلب التبرك وبعضهم يطلب القرض أو القراض أو الصدقة

عندما كثر مال أهلها وانتشر العلم وفاض وقصدها  
الناس حتى أولئك الذين

كانوا يتكبرون من الدخول إليها فضلا عن الجلوس بها  
استجابة لدعاء أبيهم المبارك التقي النقي أعاد الله  
علينا وعليهم من بركاته ونفحاته وإذا أراد أهل سالي  
دوام عزهم وعلو كعبهم وشرفهم بين الأنام فعليهم  
بخدمة تلك المدرسة واحترامها وصليانها وإعانة  
القائمين عليها ومن فيها فكل من كان أكثر احتراماً  
وإعانة كان أكثر عزاً وأجراً عند الله لأنها هي عزهم  
وشرفهم وفي مثل هذا فليتنافس المتنافسون وأهيب  
بكل أهل سالي بل وبجميع أهل توات وما جاورها على  
الاحترام والإعانة لهذا المكان كل واحد على قدر طاقته  
وقدرته وهمته وسخائه وجوده وإنه لشرف عظيم خص  
الله به تلك البقعة وأهلها أي جميع أهل توات ومن  
حولها من قريب أو بعيد اهـ. والشرفاء أهل سالي  
يتصل نسبهم بالشريف مولاي علي الشريف كما تقدم  
لأن الكثير من شرفاء توات علويون إلا القليل من  
الشرفاء الإدريسيين كما سيأتي التعريف ببعض  
الشرفاء الإدريسيين ومنهم نسبنا إن شاء  
الله. والشرفاء العلويون بتوات على قسمين بلغيتيون  
كأهل سالي ومن ينتمي إليهم من الشرفاء العلويين  
والقسم الثاني محمديون كشرفاء زاوية كنته ومن  
ينتمي إليهم من الشرفاء في جميع القطر التواتي اهـ.

[ الباب السابع ]: قد يقول بعض الناقدين والطاعنين  
أنت أثبت الشرف لهؤلاء مع أنك تقول في أول كتابك  
هذا أنك لم تقف على هذا الفن من أهل توات فمن أين  
لك هذا حتى أثبت لهؤلاء الشرف ؟ أقول إن الشرف بل  
وجميع الأنساب تثبت بشهادة السماع ولولم يكن متواتراً  
أو مستفيضاً وأحرى إذا كان متواتراً مستفيضاً كشرف  
هؤلاء الشرفاء فإن شرفهم شائع ذائع وما قيل في  
شرف العلويين يقال في شرف الإدريسيين وكذا في  
صحة نسب المرابطين والعرب ولو لم ترفع الفروع  
إلى الأصول.

[ الفصل الأول. فيما يثبت به الشرف شرعاً ]  
اعلم أن الشرف مراتب كما هو منصوص عليه فمنه  
الجلي والأجلى والخفي والأخفى وبحسب ذلك يتفاوت

فيه الاعتقاد واطمئنان النفس وثلوج الفؤاد فيثبت الشرف بأمور منها شهادة القطع إذ النسب يثبت بها لأن النسب يثبت بالقطع لا بالظن كما قدمنا الإشارة إليه اهـ.

[ الفصل الثاني. في شهادة السماع ] وشهادة السماع على ثلاثة أقسام تفيد العلم والظن القوي ومطلق الظن وقد قسم الفقهاء هذه الشهادة كما في التبصرة بشهادة السماع منها ما يفيد العلم وهو التواتر كالسماع بأن مكة موجودة وإلى ما يفيد ظنا قويا يقرب من القطع وهو الاستفاضة كالسماع بأن نافعا مولى ابن عمر وأن عبد الرحمن صاحب مالك هو ابن القاسم وإلى ما يفيد الظن وهو شهادة السماع التي يقصد الفقهاء الكلام عليها وهذا القسم الثالث الضعيف الذي يفيد مطلق الظن يثبت به النسب وأحرى القسمان الأول والثاني لأنهما من باب القطع في الحقيقة وإن كان مستندهما السماع كما لغير واحد. والدليل على أن شهادة السماع المصطلح عليها التي تفيد

مطلق الظن يثبت بها النسب هو ما أشار إليه في التبصرة بقوله والثالث قال ابن الهندي وأما شهادة السماع على النسب فصورة الشهادة بها أنهم يشهدون أنهم لم يزلوا يسمعون على قديم الأيام ومرور الشهور والأعوام سماعا فاشيا أهل العدل وغيرهم أن فلانا ابن فلان قرشيون ومن فخذ كذا ويعرفونه وأباه من قبله قد حازا هذا النسب وبيناه في شهادتهما لا يعلمون أحدا يطعن عليهما فيه إلى حين تاريخ إيقاع هذه الشهادة فإذا شهدوا بذلك فمن نفاه عن ذلك النسب حُدَّ

له منه قال ابن سلمون ما نصه: قال بعضهم ما اتسع أحد في شهادة السماع اتساع المالكية فتجوز عندهم في الأحباس والملك المتقادم والولاء والنسب إلى آخره اهـ.

[ الفصل الثالث. الشرف يثبت بالحيازة ] ومما يثبت به الشرف الحيازة فمن اشتهر بالشرف وعرف به هو وأباه عشرة أعوام ثبت له الشرف واستحق التعظيم لما به عرف ومن نفى عنه شرفه والحالة هذه استوجب النكال والحد وتعرض لسخط الله تعالى لأن مدعي الشرف يصدق في دعواه ولا يكذبه أحد بمجرد

هوان لأن الناس مصدقون في أنسابهم كما في الشيخ  
عبد الباقي الزرقاني عند قول الشيخ خليل إنما  
يستلحق الأب مجهول النسب في باب الاستلحاق ما  
نصه: والناس مصدقون في أنسابهم كما للمصنف  
والشارح أي حيث عرفوا بالنسب وجازوه كحيازة  
الأملأ. ويشمل ذلك دعوى الشرف وأما قول التتائي  
ينبغي تقييده بغير دعوى الشرف ويحمل على ما إذا لم  
يعرف هؤلاء أبأؤه به فيجد من قال لثابت النسب أثبت  
حريتك اه. منه بلفظه وقد أشار إلى ذلك العلامة  
السيد عبد القادر بن الشيخ محمد بن محمد سالم  
المجلسي في نظمه المسمى بالفائق البديع بقوله:  
ومن يجد أباه ذا انتساب \* فلينتسب به لذا الجناب  
تبركا به وإن لم يعلم \* صحة ذاك

لحديث قد نمي

وهم كغيرهم مصدقونا \* إن لم يبين

كذبهم يقينا

هذا الذي في الوصلة الزلفى ذكر \* وقال

في حسن نتائج الفكر

المرء في ما يدعي من النسب \* إن حازه

كحوز الأملأ وجب

تصديقه ولو يكون ما ذاعا \* شرفه

وللتتائي سمعا

تقييده بغير دعوى الشرف \* وقصده إذا

به لم يعرف

قال الشيخ العلامة الرهوني بعد كلام طويل الذيل كثير

النيل ما نصه: ثم اعلم ثانيا أن القول المذكور وإن كان

محتملا في نفسه وجائزا في حد ذاته لا يقدر في حق

من ثبتت لجناب النبوي نسبته شرعا واستفاضت بين

الناس شهرته نقلا وسمعا لأن غاية ذلك التجويز

العقلي لا أن تكون النسبة غير ثابتة لمدعيها وحائزها

شرعا باعتبار الواقع ونفس الأمر وأنها ظنية أو شكية

لعدم ما يفيد اليقين

والقطع. [إجراء الأحكام على مقتضى الظاهر] ويصير

التجويز المذكور في محل المنع لاعتبار ما جاء

به الشرع من إجراء الأحكام على مقتضى الظاهر وترك

الباطن موكولة إلى عالم السرائر فإن النسبة باعتباره

محكوم قطعا بها عند ثبوت موجبها وسببها فيعامل

حائزها بما تقتضيه حالة الرفيع كما يعامل منتقصه  
بالآدب الوجيع لاسيما إن انضاف إلى ذلك ثبوت  
القرائن العاضدة والدلائل الشاهدة التي تثلج لها  
الألباب وترتفع معها تخالج الظنون وخطرات الارتياب  
كما يوجد في مشاهير الأشراف السالمين من معتبر  
الاختلاف. جواب السيد محمد بناني ففي جواب العلامة  
السيد محمد

بناني الكبير ما نصه: الحمد لله من ثبت شرفه فالشرع  
الكريم يوجب إقراره على ما عرف لأسلافه من النسب  
فلا يحل لأحد انتهاك حرمتهم ولا التعرض للطعن في  
نسبتهم وإن جفوا وأبدوا من سوء الأخلاق ما أبدوا فإن  
أهل التجريب نصوا على أن سبب صلاح الأحوال  
بموالاتهم وسبب الخلل

بإهمالهم ومعاداتهم وإبداء شيء من إدايتهم كما في  
الفائق البديع:

واعلم بأن مكرم الذرية \* يشفع فيه

سيد البرية

كذا محبتهم وقاضي حاجهم \* وهكذا

الساعون في أمورهم

قال الشيخ العلمي في نوازل ما نصه: والصواب عندي  
أن يقف كل أحد في النسب عند ما حازه أبوه وأجداده  
على الخلف والسلف ولا يتعدى ما جاوزه ومن أكرمه  
الله برحم شريفة أو أرضعته ثديها فليحمد الله على  
تلك النعمة ويقف مع الحق والصدق ولا يتعدى طوره  
ولا ينتسب إلا إلى أبيه قال الله تعالى [ادعوهم لأبائهم  
هو أقسط عند الله] قال الإمام ابن عطية [أمر الله  
تعالى في هذه الآية بالدعاء إلى آبائهم من الصلب ومن  
جهل ذلك فيه كان مولى أو أبا في الدين فقال الناس  
زيد بن حارثة وسالم مولى أبي حذافة إلى غير ذلك  
وذكر الطبراني أن أبا بكرة قرأ هذه الآية ثم قال أنا  
ممن لا يعرف أبوه فأنا أخوكم في الدين ومولاكم قال  
الراوي ولو علم أن أباه حمار لانتسب إليه. قال القاضي  
أبو محمد ورجال الحديث يقولون أبو بكرة هو ابن  
الحارث. وأقسط معناه أعدل. [تعريض غير الأب يوجب  
الحد] ومعلوم أن تعريض غير الأب يوجب الحد إلا لزوج  
ففيه قولان وممن نص على أنه قذف وأطلق الإمام  
العالم العامل الصالح الناصح سيدي أبو القاسم بن





على وجه الحكاية كما يشير لذلك الزقاق في لاميته بقوله:

ولا يشمل الإشهاد بالحكم مسندا \* لزيد علو  
عمره أو سواء من الحل

وما سيق للتقييد كابن محمد \* وطلوع جواز  
ذا الصحيح به اعملا

قال الشيخ التاودي كقولك اشترى زيد بن خالد الشريف من عمرو بن بكر الأنصاري جميع الملك بقرية كذا الذي مله البائع المذكور بالشراء أو الهبة من فلان بن فلان أو بالميراث من أبيه مثلا أو اشترى فلان العدل الأرض من فلان البائع له بحكم التوكيل على فلان ولما له على الأيتام فلان وفلانة من الإيصاء عليهم من قبل والدهم فلا يشمل الإشهاد بالحكم الذي هو الشراء سواء من الحل جمع حلية وأراد بهما ما يشمل الأوصاف الشريف والعدل وغيرهما مما يذكر في الحكايات. قال في الفائق وأما ما يأتي به من خبر أو حكاية لم تتضمنه معرفة الشهود فلا يثبت بثبوت الوثيقة إلا أن يزيده الشهود عند شهادتهم أو يشهد بذلك غيرهم قلت يجاب عن ذلك بأمرين أحدهما أنه إذا كان لا يثبت في الرسوم من التحلية بالشرف الشرف فلا أقل من أن يكون دليلا عليه وقرينة على صدق مدعيه وأقوى حجة على أنه مجوز لديه وقد تقدم لك مما يثبت به الشرف الحيابة كما يثبت الملك بحيابة الأملاك يثبت الشرف بحيابته والتحلية والشهرة به.

[الباب الثامن: الفصل الأول] ما قاله الشافعي وأتباعه واختاره من المالكية ابن عرفة والآخرون السبب الذي منه الشرف يثبت بذلك على ما عليه الشافعي وأتباعه واختاره من المالكية ابن عرفة قال في جمع الجوامع: قال مالك وبعض أصحابنا الشهادة بتوكيل فلان بن فلان شهادة بالوكالة فقط

والمذهب بالنسبة ضمنا وبالوكالة أصلا. وقال الإمام السيوطي في نظمه المسمى جمع الجوامع:

والجمع بالنسبة مدلول الخبر \* دون  
ثبوتها على القول الأغر

من ثم قال مالك من شهدا \* في ذا  
بتوكيل فما عنخ اعتدى

للانتساب وإمامنا ذهب \* وكالة أصلا

وضمنا بالنسب

واحتج القائلون بالثاني بقوله في الحديث {كذبتهم} ردا لقول اليهود والنصارى كنا نعبد عذير ابن الله والمسيح ابن الله وبقول قريش لو كنا نعلم أنك رسول الله حيث كتب هذا ما قاضى عليه محمد

رسول الله. [استحسان ابن عرفة امتناع ابن سلامة من وضع شهادته] ومن ثم استحسّن ابن عرفة امتناع ابن سلامة من وضع شهادته على صداق ولد ابن عبد السلام حيث حلاه الشهود بما ليس فيه وحلى أبوه بمفتي إفريقية. ولم يكن يومئذ مفتيا فقال ابن عبد السلام يا جاهل الإشهاد على

المشهود عليه من حيث الإيجاب والقبول وما يتوقف عليه من الشروط والاستنباط فقط قال في الاختصار الذي في جمع الجوامع ترتيب هذا على مورد الصدق والكذب لا على مدلول الخبر والحكم بالنسبة لا ثبوتها وفاقا للإمام وخلافا للقرافي وإلا لم يكن شيء من الخبر كذبا إلى أن قال ومن ثم قال مالك وبعض أصحابنا الشهادة بتوكيل فلان فلانا شهادة بالوكالة فقط والمذهب بالنسبة ضمنا وبالوكالة أصلا قال الكمال ابن أبي يوسف يشهد لذلك استدلال الشافعي وغيره من الأئمة على صحة أنكحة الكفار بقوله تعالى: {وقالت امرأة فرعون} وما في البخاري مرفوعا {إنه يقال للنصارى ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال كذبتهم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولدا}. قال الشيخ أبو حفص الفاسي رحمه الله تعالى: وما ينبغي استحضاره في هذا المقام أن النسبة الإضافية [والإفعية] تحتل الصدق والكذب لكن لا من حيث ذاتها بل من حيث إشعارها بالنسبة الخبرية وهذا المعنى مقرر في حواشي المطول وشرح المفتاح للسيد الجرجاني وعليه فقولهم مورد الصدق والكذب في الخبر النسبة الخبرية معناه أنه موردها أولا وبالذات وغيرها بحسب العروض لإشعاره بها واعتبارها فيه وحينئذ فلا إشكال على ما في الحديث. ووجه قبول الإمام بالتحفظ في الشهادة حتى لا يعمل بها إلا في ما يتعلق به قصدا وليس إلا النسبة الخبرية فهي مصب الشهادة إلا أنه يرى أن الصدق والكذب لا يردان على

غير النسبة الخيرية رأسا ولا بواسطة تضمنه للنسبة الخيرية وإشعاره بها فتفريع السبكي الخلاف بين الإمامين غير واضح والاستدلال في غير محل النزاع والله أعلم. والذي في حاشية الشيخ البناني على المحلى أن الذي امتنع من كتب شهادته في صداق ابن عبد السلام هو ابن عرفة نفسه ونصه: ومن هذا القبيل ما يحكى أن الإمام ابن عرفة حضر عقد نكاح شيخه ابن عبد السلام لولده وكتب الصداق وكتب أهل المجلس شهادتهم فيه فلما وصل إلى ابن عرفة ليكتب شهادته وجد فيه تزوج العالم الفاضل فلان فامتنع من كتب شهادته وقال لا أعرف له علما حتى أشهد به فقال له شيخه إنك جاهل أنت إنما تشهد على النكاح كون العلم أهـ. ثم قال والخبر إنما يتعلق بالنسب الإسنادية دون التقييدية وقد يقال النسب التقييدية وإن لم تكن ملحوظة بالذات للإفادة حتى لم تكن مورد الصدق والكذب لكنها ملحوظة بالتبع لتعيين الأطراف فهي قيود للخبر. والقائل بالخبر قائل به بقيوده المذكورة، فخرجها عن كونها مورد الصدق والكذب لا يقتضي عدم الإخبار بها تبعا بل مقتضى كونها قيودا للخبر هو

الإخبار بها كذلك وبهذا يظهر وجه المذهب الآتي متمم. قلت وبهذا لاحظ الإمام ابن عرفة فيما وقع منه في الحكاية المتقدمة. منه بلفظه.

[ الفصل الثاني: التحلية بالشرف في الرسوم

والرسائل يعتمد عليها في الشرف ]  
فتحصل أن التحلية بالشرف في الرسوم والرسائل وما أشبه ذلك مما يعتمد عليها في الشرف وأنها له كالصدق سيما إذا شاع ذلك في السلف وحازه منه الخلف وعرفوا من بين الناس بذا الوصف ولأن البعرة تدل على البعير وأثر الأقدام يدل على المسير فالتحلية قرينة قوية ولله در الشيخ الحشتيمي إذ قال في عملياته:

قرائن الأحوال في المسالك \* يبنى

عليها الحكم عند مالك

إمامنا المعظم المتبوع \* في

مقتضى الأحوال والفروع

فاعمل بها ولا تخف ملاما \* واقطع

بها النزاع والخصاما

[ الفصل الثالث ] الناس مصدقون على أنسابهم ما لم يعلم خلاف ما قيل وما ذكره التتائي من أن الناس مصدقون في أنسابهم في ما عدا الشرف قيده الشيخ علي الأجهوري بغير المشهور وإلى تقييده أشار الزرقاني رحمه الله والناس مصدقون على أنسابهم كما لخليل والشارح إلى حيث عرفوا بالنسب وحازوه كحيازة الأملاك كما في كلام جمع من العلماء عن الإمام مالك ويشمل ذلك دعوى الشرف. والحديث الذي رواه الشيخ رزوق عزاه المناوي للطبراني في الأوسط بلفظ {من ادعى نسبا لا يعرف كفر بالله} وهذا الحديث هو الذي قدمناه للشيخ عبد المذكور بقوله: (لحديث قد نمي) ومن أمه شريفة دون أبيه قيل له شرف دون من أبوه شريف وقيل مثله الثالثة من أمه شريفة دون أبيه هل هو شريف أم لا؟ وقد اختلف في ذلك قال الشيخ الزرقاني في شرحه على المختصر ما نصه: وأما ابن الشريفة فذهب ابن عرفة ومن وافقه إلى أن له شرفا دون من أبوه شريف وخالفه جمع من محققي المشايخ التلمسانيين وذهبوا إلى أنه شريف مثله اهـ. وكتب عليه الشيخ بناني بخطه ولم يجعله في حاشيته ما نصه: لكن ذكر بعضهم عن الجزولي أن شرفه يختص به ولا يتعدى لبنيه من الاختصار. ذهب جمع من محققي المشايخ التلمسانيين إلى أنه شريف مثله وفي الدرة المكنونة مانصه: واختلف في ثبوت الشرف من قبل الأم وعلى ثبوته فهل يتعدى لبنيه أو يختص به فذهب ابن عبد الرفيع وابن عرفة ومن وافقهما إلى أن لولد الشريفة شرف دون من أبوه شريف وهو الذي حققه سيدي أبو عبد الله الشريف على ما يأتي وذهب جمع من محققي المشايخ التلمسانيين إلى أنه شريف مثله وصرح العقباني وغيره بأنه يثبت الشرف له ولذريته على حسب ما ثبت لأبيه ففي الدرة المكنونة أن الإمام العلامة أبا عبد الله ابن مرزوق سئل عن ذلك فأجاب بأنه يثبت له الشرف ويحترم بحرمة الشرفاء ويثبت ذلك له ولذريته وهو الذي اختاره. وبه أفتى علماؤنا التلمسانيون من أصحابنا المعاصرين وأشياخهم وأشياخ أشياخهم وبه أفتى رئيس البجائيين خاتمة

المجتهدين في زمانه الإمام العلامة أبو علي ناصر الدين المشدالي وحكي أن الإمام العلامة رئيس التونسيين في زمانه أبا إسحاق ابن عبد الرفيق أفتى بخلافهم غير أن ما وقع من فتاوى أصحابنا إنما رأيت فيه مجرد الإعلام بالحكم من غير إبداء مستند من أحد منهم إلا على وجه الإجمال كما هو شأن المفتين غير أن هذه المسألة لما لم نطلع فيها على نصوص للمتقدمين إلا بالتخريج حسن أن لا تخلى من بعض الاستدلال لاسيما وقد اضطربت الآراء فيها أقول وبالله تعالى التوفيق وهو المستعان .

[ الشرف من الأم ينتجه قياس من الضرب ]

ما ذكرنا من الحكم ينتجه قياس من الضرب الأول من الشكل الأول وهو من كانت أمه شريفة النسب فهو من قرابة رسول الله ﷺ نسبا وكل من كان كذلك فهو شريف بالنسب شرعا وعرفا أما إثبات الصغرى على الاختصار ففيه عشرة أوجه فذكرها واحدا واحدا ثم قال وأما الكبرى فمما لا نزاع فيها قال وثمرته مت يثبت لمن حصلت له هذه القرابة من علوم مرتبتهم وتعظيم قدرهم عند الناس لاختصاصهم بالقرب من نبينا ﷺ وما أوجب الله على الناس من برورهم ومراعاة حقوقهم وألا يصل أحد إليهم بإذية وإهانة لأن في برورهم إكراما لرسول الله ﷺ وفي إهانتهم انتقاص لحقه وقد يكفر شائئهم والعياذ بالله وفي الدرة أيضا سئل الإمام أبو عبد الله الشريف التلمساني عن أمه شريفة هل يثبت له بذلك الشرف فأجاب بأن قال ما أعلم في المسألة نصا للمتقدمين من أصحابنا المالكية ولا للمتأخرين إلا ما وقفنا عليه للتونسيين ورئيسهم القاضي أبي إسحاق ابن عبد الرفيق والجبائين ورئيسهم الشيخ أبي علي ناصر الدين المشدالي وكلام الفريقين لم يتحقق منه معنى الشرف المتنازع فيه لكن المفهوم من كلام ابن عبد الرفيق أنه النسب والمفهوم من كلام أبي علي أنه الفضيلة على الغير فإن كان المراد بالشرف هذا المعنى الثاني كما هو في اللغة فلا شك أن من أمه شريفة له فضيلة على غيره ولا يزال الناس يتفاخرون بالأمهات وإن كان دون تفاخرهم بالآباء ولا ينبغي أن يتنازع في ذلك قال فالشرف ثابت لمن له إلى النبي ﷺ نسبة بوجه من

النسب أو الرحم أو الصهر ولا نزاع في كون النسب  
الرحمي حاصل لهم وهو مثل النسب والصهر في  
البقاء وعدم الانقطاع إلى يوم القيامة. وفي صحيح  
مسلم: {غير أن لكم رحماً سألها ببلالها} أي  
سأصلها فإذا هي رحم لا تنقطع إلى يوم القيامة كما  
لا ينقطع نسبه وصهره. وللشيخ الإمام أبي عبد الله  
سيدي محمد بن عبد الرحمن المراكشي القسطنطيني  
ولادة مصنف سماه إسماع الأصم في إثبات الشرف من  
قبل الأم. وقال العلامة المختار بن إبراهيم الشنقيطي  
إقليما في منظومته الفقهية مانصه: من أمه  
شريفة دون الأب \* فيه خلاف قد أتى في المذهب  
شرفه اختيار قوم وأتى \* خلافه  
لبعضهم وثبتا

وقيل إنه له من الشرف \* شيء وذا  
أيضا لبعض من سلف  
وقال في شرحها ابن جزى في حاشيته على المختصر  
مانصه: وهل ولد الشريفة من غير شريف شريف  
واختار من محققي أئمتنا كابن مرزوق وغيره القول  
بأنه شريف وقيل ليس بشريف لا واستدل بأن النسب  
للأب لا للأم وقيل له شرف ما والقول الأول رجه  
السوداني والقول بأنه  
ليس بشريف لصاحب المعيار وفي التسولي مانصه:  
فائدة: اختلف فيمن أمه شريفة وأبوه ليس كذلك  
فأفتى ابن مرزوق وناصر الدين من فقهاء بجاية وجل  
فقهائها بأنه شريف لأنه من ذرية النبي ﷺ كما يشمل  
قول المحبس على ذريتي واستدلوا بقوله تعالى: ومن  
ذريته داود {إلى قوله عيسى} فجعل عيسى من الذرية  
وهو ولد بنت، وأفتى ابن عبد الرقيق وغيره بأنه ليس  
بشريف، وصرح ابن عبد السلام بتخطئة من قال  
بشرفه متمسكاً بالإجماع أن نسب الولد إنما هو لأبيه لا  
لأمه. انظر البرزلي في الأحباس فإنه أطال في ذلك  
اهـ. قال كاتبه سامحه الله وأكرمه بمنه وتولاه إنه  
يستفاد من هذا كله أنه شريف بقوة الدليل وبكثرة من  
قال به عن كل عالم نبيل لكن شرفه دون من أبواه  
شريفان والشريف أفضل من غيره إذا لم يكن الغير  
عالمًا. وإنما الخلاف هل الشريف الذي ليس بعالم  
أفضل من العالم أم العالم أفضل ففي نوازل على

الأجهوري وسئل هل الشريف أفضل من العالم أم العالم أفضل من حيث العلم وفضيلة العلم تفوق فضيلة الشرف وفي التفراوي عند قول الرسالة وقال مالك وأكره أن يرفع في النسبة فيما قبل الإسلام من الآباء ونصوا هنا على أن شرف العلم مقدم على شرف النسب، فالعالم أفضل من الشريف الجاهل كما ذكره الحافظ أبو نعيم اهـ.

وقد فضل غير واحد الشريف على العالم وقد عيب على العلامة المقرئ قوله لبعض مشاهير الشرفاء في مجلس الملك أبي عنان المزني وقد جرى بينهما كلام أما شرفي فمحقق بالعلم الذي أثبتته ولا يرتاب فيه أحد وأما شرفك فمظنون ومن لنا بصحته منذ أزيد من سبعمائة عام وقد شنع عليه في ذلك الشيخ المنساوي ونقله الشيخ الرهوني في الحاشية فليراجعه من أرادته يحصل مراده.

[فيما ورد في حق الشرفاء]  
اعلم بارك الله فيك أن آل البيت قد أكرمهم الله بقرابة نبيه ﷺ وفضلهم ورفع قدرهم واشترط على الخلق في كتابه العزيز مودتهم قال ﷺ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﷺ الآية فمن أحبهم فحبب النبي ﷺ أحبهم ومن أبغضهم فبغضه ﷺ أبغضهم وقد قيل علامة حب المرء المرء حب حبيبه فأحرى الذرية فعرض بالنواجد على حب آل لتكون لك عند الله وعند رسوله المزية ورضي الله عن الشيخ عبد القادر المجلسي نسبا النجيطي إقليما إذ قال في فائق البديع:

هذا وإن نسل خير مرسل \* هم

سادات لآخر وأول

وفضلهم على الورى شهير \*

وقدرهم معظم كبير

وحبهم وسيلة في الحشر \* ونافع

عند ركوب الجسر

حق علينا لهم التكريم \* والبر

والتبجيل والتعظيم

وكيف لا ولهم انتماء \* لمن عليه

غدا اللواء

صلى عليه الله ما تنسما \* ريح الصبا  
ولاح نجم في السما  
وآله وصحبه وسلما \* ما يمم الحجج

بئر زمزما

[ خطبة النبي ] [ أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم ] قَالَ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فِيْنَا خَطِيْبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِيْنَةِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَوَعَّظَ وَذَكَرَ ثُمَّ قَالَ { أَمَّا بَعْدُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأَجِيبَ وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ } فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ { وَأَهْلُ بَيْتِي أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي } أَي أَحذركم الله في شأنهم.

[ خطبة الحسن ] [ وأخرج الطبراني والبخاري عن الحسن ] خطب خطبة بليغة قال فيها أنا الحسن بن محمد أنا ابن البشير أنا ابن النذير أنا من أهل البيت الذين افترض الله تعالى مودتهم وموالاتهم فقال قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى وفي رواية ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا قال اقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت. وأخرج الشعبي وابن أبي حاتم عن ابن عباس في [ ومن يقترف حسنة الآية ] مودة آل محمد.

[ حب آل محمد ] وروى أبو مسعود [ حب آل محمد ] يوما خير من عبادة سنة ومن مات عليه دخل الجنة. وأخرج ابن عدي والديلمي وأبو نعيم عن علي كرم الله وجهه مرفوعا { أثبتكم على الصراط أشدكم حبا لأهل بيتي وأصحابي } وأخرج الإمام أحمد والترمذي وصححه والنسائي والحاكم عن المطلب بن ربيعة مرفوعا { لا يدخل امرؤ مسلم إيمانا حتى يحبكم لله ولقربائتي } وفي رواية { والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله } وفي رواية { لن يبلغوا خيرا حتى يحبوكم لله ولقربائتي } وفي رواية { والله لا قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولقربائكم مني }. وأخرج البيهقي وأبو الشيخ والديلمي مرفوعا { لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه



وتكون عترتي أحب إليه من عترته ويكون أهلي أحب إليه من أهله وتكون ذاتي أحب إليه من ذاته}.

وروى أبو الشيخ عن علي مرفوعا {ما بال رجال يؤذوني في أهل بيتي والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذريتي} ولذا قال أبو بكر ﷺ صلة قرابة رسول الله ﷺ أحب

إلي من صلة قرابتي. وأخرج الديلمي مرفوعا {من أحب الله أحب القرآن ومن أحب القرآن أحبني ومن أحبني أحب أصحابي وقرابتي} وروي {لكل شيء أساس وأساس الإسلام أصحاب رسول الله ﷺ وحب أهل بيته ﷺ} وفي حديث ابن عساكر عن علي مرفوعا {وأساس الإسلام حبي وحب أهل بيتي} وأخرج الطبراني مرفوعا {الزموا مودتنا أهل البيت فإن من لقي الله ﷻ وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتي والذي نفسي بيده لا ينفع عبدا عمله إلا بمعرفة حقنا} وأخرج الملاء مرفوعا: {لا يحبنا

أهل البيت إلا مؤمن تقي ولا يبغضنا إلا منافق شقي} وضح عنه ﷺ أنه قال {إن لكل بني أب عصابة ينتمون إليها إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم وهم عترتي خلقوا من طينتي ويل للمكذبين بفضلهم} وقال في الفائق البديع:

وجاء عن خير الأنام أحمدا \* أن لكلهم

شفاععة غدا

وأن من لقيه عز وجل \* يودهم دار

المقامة دخل

ثم قال أيضا: وأن كل ولد عصبته \* آباؤه الألى

إليهم نسبته

إلا بني فاطمة فالمصطفى \* عصبته

لهم فحازوا الشرفا

وأخرج الثعالبي في تفسيره عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعا {من مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ألا ومن مات على حب آل محمد فتح الله في قبره بابين إلى الجنة ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزارا لملائكة الرحمة ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة} وأخرج الحاكم وصححه أن النبي ﷺ قال {يا بني عبد المطالب إني سألت الله لكم ثلاثا أن يثبت قائلكم

وان يهدي ضالكم وأن يعلم جاهلكم وسألت الله أن يجعلكم جوادا {وفي رواية {نجداء نجباء رحماء} وأخرج الديلمي مرفوعا {من أراد التوصل إلي وأن يكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة فليعد أهل بيتي ويدخل السرور عليهم}. وقال في حديث صححه الحاكم وقال على شرط الشيخين {النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفهم قبيلة من العرب اختلفوا وصاروا حزب إبليس} وقال {إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثّل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق} ولعل المراد بالغرق ما يلحقهم من العذاب لولا وجودهم كما يدل عليه ما في بعض الروايات {فإذا ذهب أهل بيتي جاء أهل الأرض من العذاب ما كانوا يوعدون} ويحتمل أن من أحبهم وعمل بسنة جدّهم نجا من ظلمة الأغيار ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعمة. وأخرج الطبراني مرفوعا: {من اصطنع

لأحد من ولد عبد المطلب بدا لم يكافه بهافي الدنيا فعلي مكافأته غدا يوم القيامة إذا لقيني} وفي خبر عنه {أربعة أنا لهم شفيعا يوم القيامة المكرم لذريتي والقاضي لهم حوائجهم والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه والمحّب لهم بقلبه ولسانه} قال في الفائق البديع:

وأن من برا إليهم قد صنع \* كفاه عليه

خبر من شفع

وأن من أحبهم يظل \* في موقف

يعدم فيه الظل

وأن من أحبهم لغرض \* دنياه يؤتى

نيل ذاك الغرض

وأخرج البخاري عن أبي بكر الصديق قال ارقبوا محمدا في أهل بيته وأخرج ابن أبي شعبة في مسنده والحاكم والترمذي في نوادر الأصول وأبو يعلى والطبراني عن سلمة بن الأكوع قال: قال رسول الله {النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي} قال في الفائق البديع:

إذ بهم بقاؤنا مشروط \* وكل خير

بهم منوط

وهم لنا كالماء فالمقام \* بهم

كمالنا به قوام

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ {كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي} وفي رواية عن سيدنا عمرؓ بزيادة الصهر وهو الذي حمل سيدنا عمر على تزوج أم كلثوم بنت سيدنا علي بن أبي طالبؓ. وأخرج الحاكم عن سيدنا أنس قال قال رسول الله ﷺ {وعندي ربي في أهل بيتي من أقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذبهم} قال الشيخ عبد القادر بن محمد المجلسي في الفائق البديع:

وفي حديث أن من قد وحدا \*

وللرسول بالبلاغ شهدا

من لآله أن الإله وعدا \* أن لا يعذب

وصح مسندا

صححه الحاكم وهو يشهد \* لمذهب

ابن العربي ويعضد

وورد في أحاديث ضعيفة {أن فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله تعالى وذريتها على النار} نعم أخرج الطبراني بسند رجاله ثقات {أن الله غير معذبك ولا أحد من ولدك} وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ {أول من أشفع له أهل بيتي} قال في الفائق البديع:

وأنه يشفع فيهم أولا \* وأنهم

أول وارد على

حوض النبي وأنه قد وهبا \* له

مسيئتهم فلن يعذبا

وأخرج الحاكم في تاريخه والديلمي عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ {ثلاث من حفظهن حفظ الله دينه ودنياه ومن ضيعهن لم يحظ الله له شيئا حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي} ولذا صرح العلماء بأنه ينبغي إكرام سكان بلده وإن تحقق منهم إيذاء ونحوه رعاية لحرمة جواره الشريف فما بالك بذريته الذين هم بضعة منه. وروي في قوله تعالى ﷻ وكان أبوهما صالحا ﷻ أنه كان بينهما وبين

الأب الذي حفظا فيه سبعة أو تسعة آباء ومن ثم قال جعفر الصادق أحفظوا فينا ما حفظ الله العبد الصادق

في اليتيمين والحاصل أن فضائل أهل البيت كثيرة جدا  
 كادت أن لا تدخل تحت الحصر قد أفرغ العلماء في  
 عدها جهدا كبيرا فما قدرُوا ورجعوا بالعِي والحصر. وهو  
 الذي حمل ابن العربي الحاتمي قدس الله سره على أن  
 قال فيهم كلاما في فتوحاته المكية مانصه: إنه يعتقد  
 في أهل البيت أن الله تعالى تجاوز عنهم جميع  
 سيئاتهم لا بعمل عملوه ولا بصالح قدموه بل بسابقة  
 عناية من الله لهم. قال الله تعالى: إنما يريد الله  
 ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم  
 تطهيرا. فعلى الحكم بالإرادة التي لا يتبدل أحكامها فلا  
 يحل لمسلم أن ينتقص ولا أن يشنأ عرض من شهد الله  
 بتطهيره وإذهاب الرجس عنه. والعقوق لا يخرج من  
 النسب ما لم يذهب أصل النسبة وهو الإيمان وما تعين  
 عليه من الحقوق فأيدينا فيه نائبة عن الشريعة وما  
 نحن في ذلك إلا كالعبد يؤدب ابن سيده بإذنه فيقوم  
 بأمر السيد ولا يمهل من فضل الولد وما نزل بنا من  
 قبلهم من الظلم ننزله منزلة القضاء الذي لا سبب له  
 إذ قال: {فاطمة بضعة مني يربيني ما يربها} وللجزء  
 من الحرمة ما للكل وقال تعالى: وكان أبوهما  
 صالحا. فأتى بصلاح الأب فما ظنك ببنوته إذا كان في  
 أولاد الصالحين فما ظنك بأولاد النبيئين فماذا يعتبر  
 في أولاد سيد المرسلين فإن لهم من الفضل ما لا  
 يقدر عليه غير الذي خصهم به وتبعه على هذا جماعة  
 من أهل الباطن. وما ذكره من العقوق لا يخرج من  
 النسب وقه الاستشهاد به منه. مناما في هذه المسألة  
 نفسها فقد حكى عن التقي الفاسي أنه كان يرى من  
 بعض الشرفاء الحسينيين ما يخالف ظاهره الشريعة  
 فكان يبغضهم لذلك قال فرأيت النبي

وأهل ذا البيت لهم عناية \* عظيمة

بل قال ذو الدراية

إمامنا الأكبر ذو المكارم \* وذلك

ابن العربي الحاتمي

جميع ما قد عملوا مغفور \* قضى  
 بذلك ربنا الغفور  
 إذ قال إنما يريد الله \* فيهم ولا  
 رد لما قضاه  
 فالاعتقاد فيهم التطهير \* من  
 الذنوب فانتفى التكفير  
 إذ مالنا تكفير من قد سطرنا \* في  
 محكم القرآن أن قد طهرا  
 وأمه الزهراء بضعة الحبيب \* وكل ما  
 يريبها له يريب  
 وانظر إلى يتيמי الجدار \* تجد  
 صلاح الأب ذا اعتبار  
 فكيف من يعزى للأولياء \*  
 وفوقهم أبناء الأنبياء  
 فكيف بالرسل فكيف من علا \* جميعهم  
 له الإله فضلا  
 وقال أيضا نحن ما بنا نزل \* من ظلمهم  
 نجعله كما حصل  
 من عَرَضٍ ونحوه بلا سبب \* إذ العقوق  
 ليس يقطع النسب  
 إلا إذا زايله الإيمان \* فإنه جرائه  
 النيران  
 ونحن في حق لهم قد لزما \* تَذُبُّ عن  
 شرع لهم قد حكما  
 لا نمهل الفضل لهم كقن \* قال له  
 سيده اضرب ابني  
 والحاتمي اقتفاه غير واحد \* من عظماء  
 الملة الأماجد  
 كالشيخ زروق الإمام الماجد \* أي في  
 النصيحة وفي القواعد  
 وقد اختلفوا في أهل البيت على خمسة أقوال أحدها:  
 أن المراد بأهل البيت أزواج النبي ﷺ. ثانيها: أن المراد بهم  
 علي وفاطمة وابناهما الحسن والحسين خاصة. ثالثها:  
 أن المراد به أزواجه وهؤلاء الأربعة. رابعها: أن المراد به  
 النبي ﷺ وعلي وفاطمة وابناهما. خامسها: أن المراد بهم  
 أزواجه وأقاربه الذين تحرم عليهم الصدقة. فدخل في  
 ذلك جميع بني هاشم بلا خلاف وبني المطلب على

الخلاف المعلوم ورجح هذا القول غير واحد منهم ابن  
جزري لتصديره به وحكاية غيره بقليل مع تصريحه بضعف  
الأول ونظم ذلك بعضهم فقال:

اختلفوا في أهل بيت المصطفى \* فقليل  
الأزواج كما قد وصفا

وبعضهم قد خصهم بحيدره \* مع  
البتول وبنيتها البرره

وقيل بل جميع ما تقدا \* وقد أتى  
قول لبعض العلما

قد خصهم بأنهم خير رسول \* ثم علي ثم  
زوجه البتول

وحسن حسين في الذي ورد \* ذرية  
الجميع جاءت في العدد

وأرجح الأقوال هم من تحرم \* زكاتنا  
عليه لا غيرهم

كنجل هاشم بالاتفاق \* والمطلب  
أيضا على شقاق

وما قاله الشيخ القصار وقع به التصريح من الإمام  
مالك في كلامه الذي حكاه عنه غير واحد منهم المواق

ونصه: وما فعل جعفر العباسي بمالك حتى حمل مالك  
إلى داره مغشيا عليه ودخل الناس على مالك وقال

أشهدكم أنني جعلت جعفرا في حل فسئل عن ذلك  
فقال خفت أن أموت فألقي النبي فأتسحي أن يدخل

بعض آله النار بسببي انظر بقيته. قال في الفائق  
البديع:

لكنه اعترضه النظار \* محمد بن  
القاسم القصار

وقال بل غلب الرجاء في \* جانبهم  
والاعتقاد قد نفي

وغير واحد إذا قد سلما \* كلامه من  
كبراء العلما

كمن غدا ملقبًا بالعارف \* إذا فاق في  
العلوم والمعارف

وهو أبو زيد أي الفاسي \* تلميذه  
وقفوه مرضي

وهكذا العلامة ابن ذكري \* وبعده  
الرهوني شمس العصر

بل زاد أن ذا به قد صرحا \* من شرفت  
به بنو ذي أصبحا  
إمام دار الهجرة الشريفه \* ذو الرتب  
العلية المنيفه

هو مصباح الظلم  
ومما خص به آل البيت الأشراف كما قيل:  
آل النبي فهم الأشراف \* على الذي  
حققت الأسلاف

حرمت الزكاة عليهم لأنها أوساخ وجانبهم أعلى  
وأشرف من أن يقابل بالأوساخ وكذلك صدقة التطوع  
قال الشيخ خليل في مصرف الزكاة وعدم بنوة لهاشم  
والمطلب وفي نسخة لا المطلب لأن الرجاء أن آل  
المطلب لا تحرم عليهم الزكاة وقال الشيخ خليل في  
الخصائص وحرمة الصدقتين عليه وعلى آله قال العلامة  
الزرقاني والمراد ببنوة هاشم كل من لهاشم عليه  
ولادة من ذكر أو أنثى بلا واسطة وبواسطة غير أنثى  
فلا يدخل في بني هاشم ولد بناته لأنهم أولاد الغير  
فتعطى للشراف لأمه ولأولاده ومحل عدم إعطاء بني  
هاشم إذا أعطوا ما يستحقونه من بيت المال فإن لم  
يعطوه وأضر بهم الفقر أعطوا منها وإعطاؤهم حينئذ  
أفضل من إعطاء غيرهم ذكره الحطاب في الخصائص  
وظاهره وإن لم يصلوا إلى إباحة أكل الميتة وقيد  
الباجي إعطاءهم بوصولهم لأكل الميتة ولعله الظاهر  
أو المتعين لأن الانتقال من تحريم الصدقة عليهم  
الثابت بالخبر إنما يكون بحل الميتة ويمكن حمل ما  
للحطاب بأن يفسر اضطرار الفقراء بوصولهم لحل  
الميتة قال الفقيه ابن إبراهيم الشنقيطي في  
منظومته الفقهية :  
لم تجز كفارة لآل \*

مثل زكاة فطرنا والمال  
وفي الذي جعل للمسكين \* من غير  
تعيين حكوا قولين

وما بهم أحدهم مخصوص \* تطوعا  
جوازه منصوص

وقال ابن سلمون والصدقة المحرمة على رسول الله ﷺ  
وعلى آله في قول كافة العلماء هي الزكاة والكفارة  
وأما صدقة التطوع مثل أن يجعل الرجل شيئا من ماله

صدقة على المساكين فاختلف هل يعطى فقراء آل النبي ﷺ من ذلك شيئاً أم لا على قولين قال ابن رشد وأما إن تصدق الرجل على من شاء منهم بما شاء فذلك جائز بلا خلاف وحكم النبي ﷺ في خاصة نفسه خلاف هذا فإنه كان لا يقبل الصدقة ويقبل الهدية بلفظه في آخر باب الصدقة وفي شروحه عند قوله وحرمة الصدقتين عليه وعلى آله أن الراجح جواز صدقة التطوع على آله ﷺ قال في الفائق البديع:

وكل ما لغير أنثى ينتسب \* من ولد الأكرم عبد المطلب

وهي بصيغة اسم فاعل كما \* قد كان في المصباح قدما رسماً

فكلهم للصدقات يحرم \* كما رواه في الصحيح مسلم

لأن منصبهمو يمان \* عما به غسلت الأدران

لكنهم من خمس يعطونا \* إذ أهله عليه مغلوبون

لأصبع والأخوين ينسب \* كذا ابن نافع وهو المذهب

وسوغ الإعطاء الأبهري \* والعنقي تفصيله جلي

والمنع إن أعطوا من الغيء وإن \* لم يبذلوا فالمنع نفيه زكن

رابعها منع تطوع ذكر \* جميعها ابن الحاجب الأرضي الأبر

ووجه ذا الأخير فعل المن في \* واجبة والمن في الغير يفي

هذا وفي الخطاب أن قد أجمعوا \* أن لهم دفع الزكاة يمنع

وهكذا السمهوري أيضاً ذكراً \* تحريمها بالاتفاق فانظرا

ومنع الباجي إن لم يصلوا \* لحل ميتة من أن ينولوا

منها وقد مال له الزرقاني \* وصاحب الوصلة ذو الإتقان



وشروطهم عند الأمير منفي \* وقال إن  
 الاحتجاج يكفي  
 وهو أيضا ظاهر الخطاب \* وربنا  
 أعلم بالصواب  
 ورجح الشيخ ابن مرزوق الأجل \*  
 إعطاءهم زمانه وقال بل  
 إعطاؤهم منها يكون أفضل \* طورا كما  
 المعيار عنه نقلا  
 وعنه قد نقله المازوني \* نقله في  
 درة المكنون  
 وقال عبد الباقي إن الأشهر \* كره  
 التطوع عليهم لا يرى  
 للعتقي والقرطبي صححه \* كذا ابن  
 عبد البر أيضا رجه  
 من بعد ما عزاه للجمهور \* وقف على  
 الخطاب والسنيهوري  
 وهو الذي شهره الدريز \* وهكذا  
 العلامة الأمير  
 ورده محمد بن الحسن \* وما تعقب  
 الرهوني السني  
 وفي الصحيحين عنه { لا تحل الصدقة لآل محمد } ثم  
 الذي جرى به العمل هو إعطاء آل الفقراء من الزكاة  
 لضياح حقهم من بيت المال ولا يترد الشريف يموت  
 جوعا وتعطى الزكاة لغيره بل هو حينئذ أولى بها، وسد  
 خلته أولى من سد خلة غيره وقال في العمل الفاسي:  
 وشفعة الخريف لا المصيف \* كذا  
 التصديق على الشريف  
 قال شارحه السجلماسي هذا أيضا مما شاع العمل به  
 لضرورة الوقت وهو التصديق على الشرفاء أهل  
 البيت وأخذهم من صدقة غيرهم. وقد ذكر ابن غازي  
 في بعض أجوبته أقوالا في الصدقة على آل \* ثم قال  
 الرابع يحل لهم التطوع والفريضة وبه الفتيا في هذا  
 الزمن الفاسد الوضع خشية عليهم من الضيعة لمنعهم  
 من حق ذوي القربى فأما الفقراء منهم فتحل لهم  
 على هذه الفتيا الصدقتان معا وأما الغني فلا تحل له  
 صدقة التطوع بوجه ولا تحل له صدقة الفرض أيضا إلا  
 أن تكون صفة من بقايا الأصناف الثمانية المذكورة في

الآية ثم لا فرق بين القارئين والأُمي في كل ما ذكرنا ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فإذا أخذها من لا تحل له أثم وقال عقبه وهو صريح في تخصيص الإباحة بالفقير منهم دون الغني وما جرى به العمل هو قول الأبهري. ابن الحاجب وفي إعطاء آل الرسول الصدقة ثالثها يعطون من التطوع دون الواجب رابعها عكسه. التوضيح الإعطاء مطلقاً للأبهري لأنهم منعوا في زمننا من حقهم من بيت المال فلو لم يجر أخذهم من الصدقة ضاع فقيرهم والمنع لأصبع ومطرف وابن الماجشون وابن نافع وهو المشهور. ابن عبد السلام إلحاقاً به والجواز في التطوع لابن القاسم أي أن معنى حديث البخاري {لا تحل الصدقة لآل محمد} مقصور على الفريضة ورأى في الرابع أن الواجب لا منة فيه بخلاف التطوع. وقال في العمل المطلق:

والوقت قاض بجواز إعطاء \* الآل من

منال الزكاة قسطاً

قال في الشرح قال الونشريسي في المعيار وسئل الإمام أبو عبد الله ابن مرزوق عن رجل شريف أضرب به الفقر هل يواسى بشيء من الزكاة أو صدقة التطوع وقد علمتم ما في ذلك من الخلاف وحالة هذا الرجل وغيره من الشرفاء عندنا لاسيما من له عيال تحت فاقة فالمراد ما نعتمده في ذلك من جهتهم فأني وقفت على جواب الإمام ابن عرفة قال فيه المشهور من المذهب أنهم لا يعطون وبذلك احتج علي من تكلمت معه في ذلك من طلبة بلدنا فقلت له إن وقفنا مع هذا وشبهه مات الشرفاء وأولادهم وأهاليهم هزأوا فإن الخلفاء قصرُوا في هذا الزمن في حقوقهم ونظام البيت فسد والأحسن عندي ارتكاب أخف الضررين ولا ينظر في حفة رسول الله يموتون جوعاً فعارضني بما قلت لكم وبما قاله الشيخ ابن رشد في ذلك في الأجوبة. فأجاب المسألة اختلف فيها العلماء والراجح في هذا الزمان أن يعطى وربما كان إعطاؤه أفضل من إعطاء غيره والله تعالى أعلم. ونقل عنه في المازنية باللفظ المذكور والله أعلم. ثم قال السجلماسي وأعلم أنه ينبغي لمن أراد أن يعطي لأحد من الأشراف أن ينوي بالهدية إجلالا وتعظيماً للنبي

لأن الهدية مشعرة بإكرام المهدي إليه والتحبب له والتقرب إليه فهي للمحبوبين والصدقة للمحتاجين ويكون وجلا خائفا من أن يرد عليه الشريف ذلك فإذا قبله فرح بقبوله ورأى أن المنة له عليه وفيه العكس نص عليه بعضهم فإذا أعطى الإنسان على هذه الحالة عظم له الأجر بسبب معونة الشريف على تنازل ما هو حلال له خارج عن اختلاف العلماء وسلم من أن يرى لنفسه فضلا على الشريف وأنه صاحب

اليد العليا التي هي خير من اليد السفلى فيسيء الأدب. وبالله التوفيق. قال مؤلفه عفا الله عنه وغفر له ومن كل بأس أجاره ينبغي للمعطي للشريف أن يبسط كفه ليأخذ الشريف العطية وتكون يد الشريف حينئذ هي العليا ولذا كان بعض العارفين يفعل ذلك مع كل سائل تواضعا فمع الشريف أخرى وأولى فعن ابن سلطان على الشفا في فصل وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول عند قوله قال فكلمنارسل الله بلغتنا في الجزء الأول من النسخة المطبوعة بالمطبعة الأزهرية المصرية صحيفة 407 ما نصه: وأقول لعل وجه قولهم هذا أنه ينبغي للمعطي أن يتواضع لهم في حال عطائه ويجعل يده تحت يد الفقير الآخذ وأن يعلم أن الله هو الآخذ حقيقة وإن كان هو المعطي أيضا لما ورد من أنه يأخذ الصدقة ويربها وينميها كما يربي أحدكم فلوه وبقوله تعالى مخاطبا لنبه خذ من أموالهم صدقة ولأن الآخذ هو سبب المراتب العالية للمعطي فلو لم يأخذ أحد ذلك لم يحصل له الثواب. والله أعلم بالصواب. [ تنبيه ] من انتسب إلى النبي كاذبا قد استوجب النار والفضيحة في عرصات القيامة والشنار قال:

وفي الحديث لعنة المنتسب \* لغيره

من ولده بالكذب

وقد أتى تبرأ من نسب \* كفر وإن دق

عن الهادي النبي

ففي أصح الصحيح من حديث سعد وأبي بكر معا أن رسول الله قال {من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام} وفيه من حديث أبي هريرة أنه قال {لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كافر} فمن انتسب لأهل البيت كاذبا أدب الأدب الشديد

ضربا وسجنا قال في المختصر مشبها في الأدب الشديد ما نصه: كإن انتسب له أو احتمل قوله إلى آخره وما شرع النقيب والمزوار إلا لطرد من ليس لذرية النبي المختار صلاة الله وسلامه عليه ما كور الليل على النهار. ففي الدرة المكنونة سئل العلامة التحرير القاضي الشهير أبو عبد الله سيدي العربي بن أحمد فردلة من جهة نقيب الوقت بما نصه: المطلوب من سيدنا الإمام المرجوع إليه في النوائب والأحكام الجواب عن مسألة البحث في أهل النسبة النبوية ليميز من ثبت له شرعا ممن لا حظ له فيها هل هو مطلوب شرعا أم لا وعلى الأول فهل يرتكب وإن ترتبت عليه مفسدة هضم من سقطت دعواه لتلك النسبة ووجدان السبيل إلى امتهانه وتكليفه بالمغارم والخدمة الجارية على العامة أو الواجب والحالة هذه الإغضاء عن الناس والإبقاء عليهم والستر لهم دفعا للمفسدة المذكورة وإن ذلك مفسدة الانتساب إلى الجانب النبوي. جوابا يوضح حقيقة الحال ويقطع عنه القيل والقال والله يفيك لنا سالما والسلام فأجاب الحمد لله السؤال تضمن مسألتين.

[ نصب النقيب مأمور به شرعا ]

والجواب عن الأولى أن ذلك مطلوب شرعا ففي الصحيح أنه: أمر حسان أن يذهب أبي بكر ليخلص له نسبه أي حين أراد حسان وأمر أن ينافح عن رسول الله فتعين عليه تخلص نسبه الشريف فكذلك سائر الأمة لما كلفوا في حق آل بأمور منها الصلاة عليهم الوارد بها النص. ففي الصحيحين أن الصحابة قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك. إلخ. ومنها تنزيههم عن الصدقة وإغناؤهم بما أشار إليه في المختصر بقوله فخارجها أو الخمس والجزية لآله ثم للمصالح إلخ. قال في المواق في باب الزكاة عن ابن حبيب ويدخل في آل من دون بني هاشم من بني عبد المطلب وبني بنهم ما تناسلوا إلى اليوم. فكما كلفت بهذه الأحكام وبغيرها في حق آل تعين تمييز متعلق هذه الأحكام الذي هو آل من غيرهم ولا يميزون إلا بالبحث البالغ والتفتيش المستقصى ولذلك نصب النقباء قديما وحديثا وأهم ما نصبوا إليه هو التمييز والبحث عمن ثبت له هذه النسبة الشريفة ممن لم

ثبت له لأن الناس جبلوا على حب العلو لاسيما من أغاثه الدهر بوفور مال أو شهرة أو جاه فإذا لم يقع الذب عن هذا النسب الشريف استوى الشريف والمشروف وتعطلت تلك الأحكام أو تعلق بغير أهلها ونعوذ بالله من ذلك.

[التوسل بأهل البيت عند الشدائد جائز كما

فعل سيدنا عمر]

ثم هناك أمر آخر نبه عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو التوسل بهم عند الشدائد بقوله حين خرج للاستسقاء وأقام سيدنا العباس اللهم إنا كنا نستسقي نبيك فتسقينا اللهم إنا نستسقي بعم نبيك فاسقنا. وقد وقع بفاس أوائل عام إحدى وتسعين وألف قحط شديد وخرج الناس للاستسقاء فرارا على كل باب فلم يسقوا وطال الأمر وقنط الناس فنيهم الشيخ عبد القادر الفاسي لإخراج عترة المصطفى والتوسل بهم ففعل الناس ذلك ولجأوا لآل البيت في الجمع والحضور وخرج وجوه الأشراف وأخرجوا معهم النعال الشريفة وأقيمت سنة الاستسقاء حوالي باب الحمراء داخل باب الفتوح. وضمن الخطيب في خطبته التوسل بآل المصطفى وبعتريته الأكرمين

فضج الناس بالبكاء وبالابتهاال إلى الله تعالى وبالتوسل بعترة نبيه وكان يوما مشهودا فسقانا مولانا الجود الغزير والمطر الكثير واطمأنت قلوب الناس وفرحوا واستغرب ذلك من كان بعيدا ولا غربة والحمد لله رب العالمين هذا ما قررناه على سبيل البحث والتفقه وقد تناول أهل المذهب وغيرهم إلى التنصيص على مطلوبة البحث عن مستحقي تلك النسبة ومن هو مدفوع عنها قال الإمام أبو عبد الله ابن السكاك وكان قاضيا بفاس أوائل المائة التاسعة في كتابه المسمى نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما يحب عليهم من حقوق آل البيت الكرام وفي سياق كلام ما نصه: فأما وظيفة الشرفاء بالسؤال والبحث والغيرة على هذا النسب الكريم لتلايتجرا عليهم من ليس من أهله هذا أمر واجب عليهم ومتعين اهـ. وقال الشيخ النظار مفتي فاس أبو عبد الله القصار ينبغي أن يكون لأهل البيت النبوي بل ولجميع الأمة غيرة على هذا النسب الشريف وضبطه حتى لا ينتسب إليه أحد إلا بحق

كما جرى عليه السلف الكرام في تعيين توخيهم بالإجلال والإعظام.

والجواب عن المسألة الثانية أن تلك المفسدة اللاحقة سهلة بالنسبة إلى مقابلها لأن قصارى من سقطت دعواهم لتلك النسبة أن يرجع في الدنيا من عوام الناس ينوبه ما نابهم ويلزمه ما يكلفون به لكن فيه إنقاذه من فضوح الآخرة حيث تحقق الحقائق ويظهر الأمر على خلاف ما يدعي ويطرده من ذلك الجنب الذي كان له ينتمي ثم قد ورد الوعيد الشديد على من خرج من نسبه يتطلب غيره. ونقل عن مالك أنه من انتسب إلى بيت النبي ﷺ يضرب ضرباً وجيعاً ويشهر ويحبس طويلاً حتى تظهر توبته لأنه استخفاف بحق رسول الله ﷺ والله سبحانه أعلم. وكتب أبو عبد الله سيدي العربي بن أحمد فردلة كان الله له وينبغي للشريف أن يكون طالباً للعلم كما قد قيل:

العلم يرفع بيتاً لا عماد له \* والجهل

يهدم بيت العز والشرف

وقد قيل: جهل الشريف يشين منصبه وابن اللئيم يزيئه أدبه. قلت ومقصود سيدنا عمر ﷺ إنما هو أن يتقدم العباس ﷺ ويباشر الدعاء بنفسه وهذا لا يتصور حصوله إلا من الحاضر وأما التوسل برسول الله ﷺ فلا نسلم أن عمر ﷺ تركه بعد موته ﷺ مع ذلك تقديمه للعباس ليدعو للناس لا ينافي توسله به ﷺ مع ذلك. وبالجملة فالتوسل بالنبي ﷺ صاحب الشفاعة العظمى في حضوره وغيبته مما لا توقف فيه وعلى اعتبار القياس عليه يقول كل متن صحت شفاعته يصح التوسل به فيدخل غيره من الأنبياء والأولياء خلافاً لعز الدين في تخصيصه ذلك به ﷺ فتبين من ذلك أنه لا متشبه في حديث عمر لبعض المبتدعة الضلال كابن تيمية على منع التوسل برسول الله ﷺ بعد موته وهو قول شنيع ورأي سخي ف يلزم عليه الكفر الصراح كما لا يخفى وانظر شرح الحصن الحصين عند قوله في فصل الدعاء والتوسل إلى الله بأوليائه والصالحين. قال مؤلفه قابله الله بالإلطف وأمنه من كل ما يخاف: قد ورد في التوسل حديث صحيح هو. روى النسائي في سننه عن عثمان بن حنيف أن أعمى قال يا رسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصري فقال انطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك

وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف لي عن بصري اللهم شفعه في. قال فرجع وقد كشف الله أيضا عن بصره. وقد رواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب والنسائي في عمل اليوم والليلة وابن ماجه في الصلاة والحاكم والبيهقي وصحاحه وقد صحح شروح الشفا هذا الحديث قال الخفاجي في نسيم الرياض ما نصه: هذا الحديث

مسند صحيح أخرجه الترمذي والحاكم وغيرهما وكان ابن حنيفة وبنوه يعلمونه الناس وقد حكى فيه حكايات فيه إجابة دعاء من دعا به من غير تأخير وقد أخرجه البرهاني الحلبي من طرق متعددة فلم يبق فيه شبهة فاحفظه اه. منه بلفظه وقول الشيخ فردلة ونقل عن مالك من انتسب إلى آخره ذكره في الشفا ونصه: من انتسب لأهل البيت كاذبا يضرب ويسجن طويلا وروى أبو مصعب عن

مالك أن من انتسب إلى بيت النبي ﷺ أي بأن ادعى القرابة منه من فاطمة وغيرها لغير خوف القتل في غير حق يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لأنه استخف بحق النبي ﷺ. ونقل صاحب وصلة الزلفى قال العلامة الحريشي أن من يدعي ذلك ساقط القدر دني الأصل إذ قد يدعيه ابن البغي ويصدر عنه من الأفعال ما يناسب أصله النازل وفيه الكذب عليه ﷺ لأنه أدار كساءه على أهل بيته وقال {اللهم هؤلاء أهل بيتي الحديث} فإذا ادعى أنه من أهل البيت لزم تكذيبه ﷺ فيما أخبر به من قوله {هؤلاء أهل بيتي}، وقد تسارع في هذه الأعصار كثير من الأشرار وانتسبوا لآل النبي المختار وساعدهم على ذلك قضاة الجور فشاركوهم في تحمل الأوزار ومما ينسب للقاضي عياض رحمه الله:

القول في ما جاء في من انتسب \* لآل بيت المصطفى وقد كذب

يطرح في السجن لدى الإمام \* أو من ينوب عنه في الأحكام

لأنه قد قصد الإهانة \* لأهل بيت خص بالصيانة

ولا يكون ذاك في المعهود \* إلا في ذي عرق من اليهود

أو في ذوي نسمة من العبيد \* عند ذوي  
التجريب حقا فاستفد

فلعنة الإله والملائكة \* والناس أجمعين

دهرا سلكه

وقال: في الوصلة الزلفى واعلم أن أولادالمغتصبات  
من الحرائر والإماء لا يجوز رفع نسبتهم إلى المقام  
النبوي لأنهم سفاح وقد شاع ذلك في الكبراء فتنبه  
لذلك واحترز منه لأنه استخفاف بحق النبي ﷺ قال في  
الفائق البديع: وإن يكن إلى الرسول انتسابا \* مع علمه  
بأنه قد كذبا

باء بمقت الله والخسران \* أعادنا

الله من الخذلان

لذاك قال مالك من ادعى \* كاذبا

أنه شريف أوجعا

ضربا ويشهر ويحبس إلى \* ظهور

توبة ولكن نقلا

تعظيمه من في انتسابه طعن \*

وفي اتباعه اتباع للسنن

سواء انتسابه له حصل \* بقول أو

بعمل له فعل

قال ابن السكاك وكيف تكون حيلة من يكون خصمه في  
عرصات القيامة سيد الأكوان وفاطمة الزهراء والحسن  
والحسين عليهم السلام وكل واحد منهم يقول هتكت  
حرمتي وتجرات على الإنتساب ولست مني ومن عندي  
أن هذه معصية تفوق سائر المعاصي لأن الجرأة فيها  
على حرمة عظيمة لا أعظم حرمة منها. وأخرج  
الطبراني عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال  
لمعاوية بن خريج وإياك وبغضنا أهل البيت فإن رسول  
الله ﷺ قال { لا يبغضنا أحد إلا ذيد يوم القيامة عن الحوض  
بسياط من نار }. وأخرج ابن عدي والبيهقي في شعب  
الإيمان عن علي ﷺ قال قال رسول

الله ﷺ { من لم يعرف حق عترتي والأنصار والعرب فهو  
لأحد ثلاث إما منافقا أولزانية أو لغير طهور } يعني  
حملت به أمه لغير طهور. وأخرج الطبراني عن ابن  
عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال { بغض بني  
هاشم أو الأنصار كفر وبغض العرب نفاق } وأخرج ابن  
عدي في الكامل عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال



رسول الله {من أبغض أهل البيت فهو منافق} وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله {والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت رجل إلا أدخله الله النار} وأخرج الطبراني والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله {فلو أن رجلا صف بين الركن والمقام أي جمع قدميه فصلى وصام ثم مات وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار}. ومن أراد تفسير هذا فلينظر كتاب السمعوري الذي صنّفه في فضائل أهل البيت فإنه جمع فأوعى جزاه الله خيرا وقد قيل كما في الدر النفيس معرفة مكانة أهل البيت من النبي ولاية وفي الحديث {والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذوي أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم ألا ومن أذى قرابتي فقد أذاني ومن أذاني فقد أذى الله} وقال في الدر النفيس أخرج الطبراني وغيره مرفوعا {إن الله جعل ذرية كل نبي من صلبه وإن الله جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب} ولأبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن الدلائي في أرجوزته درة التيجان:

كل نبي نسله في صلبه \* وخص منهم أحمد من ربه

أن جعل الإله نسله العلي \* وسره المصون في صلب علي

من بنته الزهراء ذات الشرف \* والعرش النور الذي قد اصطفي

فاطمة أم الحسين والحسن \* ونجلها أحسن من كل حسن

وذكر الإمام السمهوري صاحب خلاصة الوفا عن الشيخ العابد أبي محمد الفاسي وكان بالمدينة المنورة سنة سبع عشرة وثمانمائة قال كنت أبغض أشرف المدينة المنورة لما لهم من التعصب على أهل السنة وما يتظاهرون به من البدع فرأيت في النوم فاطمة رضي الله عنها وهي تطوف بالبيت وسلمت عليها فلم تجبني فتشفعت وتذلت لها وسألتها عن ذنوبي فأنشدتني:

حاشا بني فاطمة كلهم \* من خسة في العرض أو من خنا

السوء أساءت لنا  
وإنما الأيام في غدرها \* وفعلها

يأمن مما جنى  
فتب إلى الله فمن يقترف \* ذنبا بنا

السب عمدا لنا  
إذا أسا من ولدي واحد \* يجعل كل

فيجب على من انتهج منهج الإذابة لأحد من الشرفاء  
التوبة والندم والإقلاع مما اقترفه من ذنبه الأعظم بعد  
أن يوخذ على يديه ويهان من أنواع النكال والأدب  
الشديد عليه انتهى منه بلفظه.

وفي الشفا للقاضي عياض ومختصر خليل أن من آذى  
أهل البيت يؤدب الأدب الوجيه ويضرب ويسجن حتى  
تظهر توبته. كما ينبغي لأهل البيت الإعراض عن طلب  
الرئاسة والتشوف للمناصب لأن الله شرفهم وأعلى  
قدرهم ورفع مكانتهم فيجب عليهم أن يستنكفوا عما  
يبدنس جانبهم ويقسح في مرواتهم فإن  
البحث [الإنحياش] إلى الرتب العالية وسيلة إلى تمكن  
الأنساب من حب الدنيا الفانية التي تغر صاحبها وتملكه  
بسحرها وتهلكه بسمها:

من بطشي وفتكي  
هي الدنيا تقول بملء فيها \* حذار حذار

مضحك والفعل مبكي  
وقال في الفائق البديع:  
فلا يغركم مني ابتسام \* فقولي

لا ينبغي لأهل ذا البيت الشريف \* طلب أن  
يكون منهم العريف

في هذه الدار لأن الحسناء \* أوصى بذا  
الأخ الذي حاز السنا

وما عدا ذاك لنا  
وقال إن الله لم يجمع لنا \* بين الدني

ولا مطالبة من يقصر \* في حقهم  
لأنهم قد أمروا

بالصفح عنها وكذاك يطلب \* ممن لعلن  
أو صلاح ينسب

محل صفحهم إذا لم يرجع \* ذاك لتنقيص  
الجناب الأرفع

فيجب الرفع إذاً إلى الحَكَم \* كيما يقيم  
 ما به الشرع حَكَم  
 وليس ينبغي لهم تلبس \* بكل ما  
 ينشأ عنه دنس  
 ولو قليلاً إذ يسير العيب \* في حقهم  
 يكثر دون ريب  
 إذ عيب من قد شرفوا مذكور \* والعيب  
 فيمن جهلوا مغمور  
 والصفو في الظفر خفي وهو في \*  
 إنسان عين المرء بادٍ ما خفي  
 وللتعاضم على الأنام \* بل أمروا  
 بأحسن الإكرام  
 لهم وأن يعاملوا جميع من \* آمن  
 بالمختار بالخلق الحسن  
 والصبر والحلم والاتباع \* لجدهم في  
 هذه الطباع  
 ونحوها كمثل الاتصاف \* بالعلم  
 والزهد وبالإنصاف  
 وبالتواضع وبالعفاف \* وباجتناب  
 ضدها السفساف  
 ليتحقق حصول النسبتين \* إلى صفي  
 الله حبله المتين  
 صلى عليه الله ما نال العلى \* من  
 الإله من به تكملاً  
 وكانت العادات في أبناء \* سيدة  
 فاطمة الزهراء  
 إن حاولوا رئاسة أن يغلبوا \* عنها  
 وربما عليها غلبوا  
 لأن ذي الدار خسيصة فلا \* تكون  
 للأشراف منزلاً إلا  
 ترى إلى الدعا بقلة الولد \* والماء  
 للمؤمن بالله ورد  
 ليعرضوا عن ذي المتاع الفاني \*  
 فليكرموا بأحسن التهاني  
 لأنها حلالها حساب \* لكنها حرامها  
 عقاب

وقوله إذ عيب من قد شرفوا مذكور البيتين يشير به إلى قول القائل:

والعيب في الخامل المغمور مغمور \* وعيب  
ذي الشرف المذكور مذكور  
كصفوة الظفر تخفى لحقارتها \* ومثلها  
في سواد العين مشهور اهـ.

\*\*\*\*\*

(( الكلام على تيلولين ))

ويوجد بالقرب من قرى سالي قرية كبيرة كثيرة السكان يقال لها تيلولين من ذرية سيدنا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ؑ وجدهم الكبير والعالم الشهير الولي الصالح سيدي محمد بن أبي زيان وله قبة كبيرة وسط المقبرة التي يدفنون بها موتاهم وأهل هذه القرية يحافظون على الوضوء للصلوات الخمس وكل أهل هذه القرية من أصل واحد إلا جماعة قليلة من شرفاء سالي ولهم قصر خاص بهم يقال لهم الذهبون نسبة إلى جدهم مولاي أحمد الذهبي ومنهم السيد الشريف الكريم مولاي عمر بن سيدي محمد بن مولاي علي خليفتنا الأول وأميننا على المدرسة بعد مغادرتنا لذلك القطر العزيز حينما ضيق علينا المستعمر وكدر علينا صفو العيش حتى ضاقت علينا الأرض بما رحبت فسافرنا نحن وخليفتنا الثاني إلى أرض الحجاز بالحجة الثالثة ولله الحمد وفي الروضة النبوية الشريفة كتبت له التقدم على المدرسة والطلبة والزاوية وعلى جميع الأمور الداخلية والخارجية وهو الشريف السيد مولاي الحبيب بن مولاي عبد الرحمن خليفتنا الثاني والشريف السيد محمد بن مولاي مبارك الرقاني خليفتنا الثالث وبعد جلوسنا مدة بالحرمين الشريفين توجهت إلى المغرب الذي هو مهد الآباء والأجداد والأسلاف وهناك زاويتنا ومدرستنا القديمة التي بها مرقد الآباء والأجداد. وأهل تيلولين هذه جلهم صلحاء وأدركت منهم الكثير من الصالحين ومنهم الفقيه العلامة الحافظ الدراكة الصالح الصابر الذي ما رأيت أحدا أصبر منه على تحمل الأذى من الجفأة الذين يكلفونه ما لا يستطيع أحد أن يسعه وأحرى أن يتحملة إلا هو ومع ذلك لا يرد عليهم إلا بالرد الجميل والخلق الحسن فما أصبر هذا الفقيه واسمه السيد محمد بن الحاج بن السيد

جعفر وله ابن ابنه الشبيه به خلقا وخلقاً وصبراً تلميذنا  
 الفقيه السيد الحاج محمد عبد الرحمن ويشبه جده في  
 الحفظ والصبر ولهذا الفقيه خزانة كتب كثيرة كبيرة  
 جدا اشتراها عمه الفقيه الولي الصالح الحاج محمد بن  
 سيدي جعفر المدفون بتمقطن بأولف. وهذه الخزانة  
 جاء بها من القاهرة وهي من أعظم  
 الخزانات وأجملها وأكثرها بتوات وقد أعاننا بكثير منها  
 جزاه الله عنا خيراً ورحمه وجعل البركة  
 في ذريته إلى يوم الدين ومن هذه العائلة الفقيه السيد  
 محمد عبد الله كان يقرأ علينا ومن هذه القرية السيد  
 محمد البركة بن عبد الرحمن ومن طلبتنا الشريف  
 السيد مولاي علي من أولاد الشريف الذهبي. اهـ وقد  
 شاهدنا من أهل هذه القرية أهل كشف ظاهر غير ما  
 مرة وهم أهل مسكنة وتواضع وخفض جناح ومحبة  
 للعلم والعلماء والشرفاء وأهل الدين وبجانب تيلولين  
 قصور كثيرة منها ما سكانها عرب كتيطاوين العرب  
 وأهلها من العرب الكرماء الشجعان ومنها تيطاوين  
 الشرفاء وأهلها من الشرفاء المنتمون إلى شرفاء  
 زاوية كنته ومنها زاوية بلال وهم مرابطون ومن هذه  
 القصور الخلقي وهو الذي فيه الشريف السيد مولاي  
 الشريف الرقاني. ومنها أغزير وهم  
 جعفريون ومن هذه القصور قصر يقال له تيدماين  
 وكان به فقيه جليل يسمى السيد الحاج المغيلي ابن  
 الفقيه الحاج عبد الكريم صاحب المنظومات الكثيرة  
 في الفقه والتوحيد ومن القرى المعمورة المشهورة  
 بالعلم والصلاح والولاية الظاهرة والباطنة القصر  
 المسمى بأنزجير القصر الكبير وهما قصران قصر  
 يسكنه العرب وهم من أصل عربي أصيل كرماء يحبون  
 العلم وأهلهم. والثاني يسكنه المرابطون العلماء  
 الصالحون من ذرية سيدنا أيوب الأنصاري النجار وهم  
 أهل الأسرار والأنوار والمعارف والعلوم والذي كانت به  
 مدرسة العالم العلامة أبو زيد سيدي عبد الرحمن  
 صاحب شبكة القناص في نظم درة الغواص في الألغاز  
 والمعميات للفقيه ابن فرحون المالكي وكانت هذه  
 المدرسة من عهد السيد عبد الرحمن المذكور عامرة  
 بالعلم والمتعلمين في كل أنحاء توات وبها خزانة كبيرة  
 بها أنواع من فنون العلم على اختلاف أنواعها وأصولها

وفروعها ولاسيما الفقه والتوحيد واللغة العربية وتخرج منها خلق كثير من العلماء ومن آخر علمائها وفقهائها الولي الصالح الذي جمع بين العلم الظاهر والباطن السيد محمد بن عبد الرحمن صاحب السر الكبير والمكاشفات الفقيه الرباني الذي كان آية من آيات الله في هذا المعنى فيما يحكى عنه وما أدركته حيا ولا زالت خزانته قائمة إلى اليوم تدل على آثارهم الحميدة وخصالهم المجيدة:

هذه آثارنا تدل علينا \* فانظروا بعدنا

إلى الآثار

وأهل هذه الزاوية جدهم الأول قدم من قرية كبيرة يقال لها زافلو الذي هو مركز المرابطين الأنصار كما سيأتي الكلام عليه وانتقل جدهم إلى هذه القرية يطلب من السكان العرب فأحسنوا إلى هذا الفقيه أحسن قيام ويقرب من أنزجيمير قرية يقال لها بوانجي سكانها مرابطون من ذرية سيدنا محمد بن الحنفية ابن سيدنا علي كرم الله وجهه وأهلها كرما فضلاء مع قلتهم يحبون العلم وأهله ويكرمون الضيف كعادة أهل توات فإن ضيفهم عزيز معظم حتى يرحل إلى أهله وأهلها يظهر عليهم علامات وأمارات الخير وبجوار هذه القرية قرية يقال لها أطوى سكانها الأولون من عرب دبلال وسكانها اليوم من الشرفاء المحمديين من زاوية

كنته وبها تلميذنا السيد محمد بن مولاي امحمد الغول وبجانبها قرية يقال أغرماملال وسكانها شرفاء محمديون ومنهم مولاي عبد الله ومولاي إدريس ومواليهم ويقرب من هذه القرية قرية تسمى بوعلي وهي قرية قديمة كانت مركز البرامكة الذين كانت لهم سطوة وتجارة في تلك البقاع يجوبون بها جميع الأصقاع وهذا القصر كان أكبر قصر للبرامكة بتوات واليوم لم يبق بها إلا القليل ويوجد به الشريف الكريم مولاي السعيد وابن أخته الشريف الأجل المحب الأبر السيد محمد السي حمي الشريف المتليلي السليماني صاحب الذكر الكثير والمحبة للعلم وأهله وكل عباد الله الصالحين. وأهل بوعلي أي البرامكة هم الذين طلبوا من الشيخ بن الكبير والعالم الشهير شيخ الشيوخ في المشارق والمغارب الشيخ سيدي محمد بن عبد

الكريم المغيلي أن يقيم معهم في قصرهم بو علي  
فلبى طلبهم وأقام معهم يرشدهم إلى الخير ويهديهم  
ويعلمهم العلوم ومكارم الأخلاق وفعل الخيرات  
والقيام بما يجب عليهم في حق الله وحق العباد  
ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويأمرهم بإكرام  
الضيف والإحسان إلى الفقراء والأيتام وأبناء السبيل  
وكل ما ينفعهم في الدنيا والآخرة فكان لهم أحسن  
مرشد وخير راشد.

[الكلام على زاوية الشيخ ابن عبد

الكريم المغيلي]

وهذا أوان الكلام والشروع في الكلام على هذا الشيخ  
وزاويته فأقول هو الشيخ العارف بالله العالم العلامة  
الدراكة ذو الفتوحات الكثيرة والهداية إلى الإسلام فكم  
من ضال هداه الله على يديه وكم من نعمة أجراها الله  
بسببه على المسلمين ومن أجل وأعظم تلك النعم  
وأغلاها على قلب كل مسلم ومسلمة هو إجلاؤه  
 وإخراجه اليهود المغضوب عليهم والملعونين من ذلك  
القطر عندما أكثروا فيه العتو والفساد وإشاعة الفتنة  
الحسية والمعنوية بين المسلمين ونقضهم لعهد الذمة  
الذي كان بينهم وبين المسلمين وارتكابهم للفواحش  
ما ظهر منها وما بطن ما أطت به الأرض لخالقها  
الواحد القهار الذي يخرج لهذه الأمة من يجدد لها أمر  
دينها في كل جيل وفي كل عصر من الأعصار ألا وهو  
القطب العارف بالله الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم  
المغيلي فأجلاهم من تلك الأرض المباركة وأجلاهم  
منها أولا بالسيف بعد ما استشار في هذا الأمر العلماء  
في كل الأقطار الإسلامية كفاس وتونس والقاهرة  
فكل العلماء كان جوابهم بعدم قتال أهل الذمة وعدم  
التعرض لهم لأنهم أهل ذمة وقد أوصى الرسول ﷺ  
برعاية أهل الذمة ومن جملة من عارضه ومنعه من  
قتالهم الفقيه المعاصر له السيد عبد الله العصموني  
دفين بوفادي أحد قصور توات ولم يوافق إلا عالمان  
اثنان وهما السنوسي والتينسي رضي الله عنهما ولما  
أجاب هذان العالمان أعلنها صيحة مدوية وأعلن القتال  
والجهاد عليهم مع المسلمين المجاهدين كما نص على  
ذلك صاحب البستان وغيره فأخرجهم منها من غير

رجعة ببركته وطهرت الأرض من رجسهم ولا يقدر أحد من اليهود من ذلك العصر إلى اليوم أن يسكن تلك الأرض وقد سمعنا غير مأمرة أن بعض اليهود ببشار ووهران يعزم على السكنى بأرض توات للتجارة في تيمي أو غيرها فإذا أتى إلى تلك الأماكن الطاهرة وأراد الاستقرار بها فإنه سرعان ما يرجع من حيث أتى فسيحان المتصرف في ملكه كما يشاء ولا يوجد اليوم بأرض توات يهودي ولا كلب اه. وبالجملة فالشيخ السيد محمد بن عبد الكريم المغيلي نفعا الله به وبأمثاله. أمين. طهر أرض توات من اليهود بالسيف أولا وبالسرايا فهو شيخ جمع بين الشريعة والحقيقة والجهاد في سبيل الله وهدى الله به إلى الإسلام ملوكا كانوا كفارا قطع كثيرا من المنكرات وجدد الكثير من معالم الدين فجراه الله عن الإسلام والمسلمين خيرا وتخرج على يديه خلق كثير انظر الديباج وغيره من الكتب الذين عرفوا به وبأمثاله. ومن حفة هذا الشيخ تلميذنا الأبر الأوفى

العارف الفقيه السيد الحاج عبد القادر بن السيد سالم وهو الآن يعلم الناس بهذه الزاوية المباركة ونسأل الله له الفتح المبين وتقام عند ضريحه زيارة كبيرة في [18] شهر ربيع الأول من كل سنة يقصدها الناس من كل جهة بذبائحهم قصد التبرك والزيارة لذلك المقام.

[باب في الكلام على ما يذبح عند القبور هل يؤكل أم لا وما إلى ذلك]

فأقول سوق الهدى للأولياء قال فيه العلماء وسوق الهدى للأولياء فإن كان بلفظ الهدى والفدية لا يلزم النادر أصلا لا ذبحه ولا بعثه وإن كان بلفظ خروف أو بعير لسيد فلان ذبحه أو نحره بموضعه وفرق لحمه على الفقراء وإن شاء أبقاه وأخرج مثل ما فيه من اللحم ويمتنع بعثه إلى القبر ولو قبر النبي ﷺ قال الشيخ خليل عاطفا على ما لا يلزم النادر فيه شيء. (أو أهدي لغير مكة) قال العلامة عبد الباقي الزرقاني ما نصه: فلا يلزمه شيء لا بعثه لمن عينه له ولا ذكاته بموضع الهدى كما في الشارح الكبير ونحوه لابن عرفة. وأما لو عبر بغير الهدى والبدنة فإن جعله لمكة فحكمه حكم الفدية وإن جعلها لغيرها كقبر النبي ﷺ أو كقبر ولي فإن كان مما يهدى وعبر عنه بلفظ بعير أو خروف أو جزور



ونحوه نحره أو ذبحه بموضعه وفرق لحمه للفقراء وإن شاء أبقاه وأخرج مثل ما فيه من اللحم ويمتنع ذبحه عند القبر ولو للنبي ﷺ ولو قصد الفقراء الملازمين له لقول المدونة سوق الهدايا لغير مكة ضلال وأما إن كان مما لا يهدي به كثوب أو دراهم أو طعام فإن قصد نفس النبي أو الشيخ بالثواب تصدق به بموضعه وإن لم يكن له قصد أو مات قبل علم قصده لينظر لعادته كذا استظهره ابن عرفة وأبرز في التفسير المذكور في النذر لقبر ولي واستظهر علي الأجهوري في القبر الشريف أيضا ذاك إذا لم تكن لهم عادة ولا يلزم بعث ستر أو شمع ولا زيت يوقد على القبر الشريف أو غيره ولو نذره فإن بعثه مع شخص وقبله من صاحبه فالظاهر تعيين فعله بمنزلة شرط الوقف المكروه ولا يجوز له أخذه لأن إخراج مال الإنسان على غير وجه القرية لا يخرج عن كونه ماله فلا يباح لغيره تناوله كوضع شيء بصندوق شيخ أو عند قبر النبي ﷺ فإن علم ربه دفع له وإلا

كان لبيت المال. قال الشيخ بناني وقول الزرقاني ويمتنع بعثه عند القبر إلخ. هذا هو المشهور ومذهب المدونة قال في التوضيح لأن في بعثه إليه تشبيها بسوق الهدى وفي المدونة وسوق الهدى لغير مكة من الضلال ومقابله لمالك في الموازية وبه قال أشهب لأن بعث طعام لمساكين بلد طاعة ومن نذر أن يطع الله فليطعه. وأما ما يذبح على قبور الأولياء لقضاء الحوائج فإن اعتقد أن التأثير في قضائها لذلك الولي فمذبوحه حرام وإن اعتقد أن التأثير إنما هو لله وإنما ذبح على ذلك الولي ونوى ثواب مذبوحه له لجريان العادة بقضاء الحاجات لمن فعل ذلك فهذا لا بأس بأكله قال بعضهم وهو ظاهر والله أعلم. وفي روح البيان ما نصه: قال الفقهاء ولو سمي الذابح النبي ﷺ مع الله فقال باسم الله ومحمد حرمت الذبيحة اه. كما أنه ورد في الحديث النهي عن ذبائح الجن. وذبائح الجن أن يشتري الرجل الدار أو يستخرج العين وما أشبه ذلك فيذبح لها ذبيحة للطيرة وكانوا في الجاهلية يقولون إذا فعل ذلك لم يضر أهلها الجن، فأبطل النبي ﷺ ذلك ونهى عنه اه. والعقر عند القبر وإطعام الطعام بدعة كما أن الطعام الذي يفعله أهل الميت ويسمون العشاء مكروه

قال في الطراز وأما إصلاح أهل الميت طعاما وجمع الناس عليه فقد كرهه جماعة وعدوه من البدع لأنه لم ينقل فيه شيء وليس ذلك موضع الولايم وأما عقر البهائم وذبحها على القبور فمن أمر الجاهلية وقد روى أنس بن مالك مرفوعا {لا عقر في الإسلام} أخرجه أبو داود اهـ. قال العلماء العقر الذبح عند القبر وأما ما يذبحه الإنسان في بيته ويطعمه للفقراء صدقة على الميت فلا بأس به إذا لم يقصد رياء ولا سمعة ولا مفاخرة ولم يجمع عليه الناس. وفي المدخل وليحذر من هذه البدع وهي حمل الخرفان والخبز أمام الجنائزة فإذا أتوا على القبر ذبحوا ما أتوا به بعد الدفن وفرقوه مع الخبز ويقع بسبب ذلك مزاحمة واضطراب ويأخذ ذلك من لا يستحقه ويحرمه من المستحق في الغالب وذلك مخالف للسنة لأن ذلك من فعل الجاهلية لما رواه أبو داود عن أنس مرفوعا {لا عقر في الإسلام} ولما فيه من الرياء والسمعة والمباهاة والفخر لأن السنة في أفعال القرب الإسرار بها دون الجهر وهو أسلم. ولو تصدق بذلك في البيت سرا لكان عملا صالحا وسلم من البدعة أعني أن يتخذ ذلك سنة أو عادة لأنه لم يكن من فعل من مضى والخير كله في اتباعهم انظر الخطاب ولاختصار وقد أشار إلى ذلك الفقيه المختار بن إبراهيم الشنقيطي إقليما:

الذبح عند موضع الأموات \* فبدعة في شرعنا لم يأت

كذلك جمعنا على طعامهم \* وحملنا

به إلى قبورهم

والسنة التي عليها من سلف \* إطعامه

سرا وحق للخلف

يتبعه بفعل ذا للسلف \* لأنه به

الرياء ينتفي

سئل ابن سحنون عن طعام الجنائز فقال: إن أوصى به الميت أو عمله الورثة وهم بالغون رشداً

كلهم فهو حلال وإن كان فيهم يتيم فهو حرام. وإن صنعه غير الورثة من أموالهم دفعا لعار الوافدين للتعزية فهو مكروه وسئل الإمام الرباني سيدي محمد بن ناصر عن الطعام المصنوع للميت الذي يأكله الناس عند الدفن وغيره كعشاء الموتى وقد جرت العادة بذلك

في أكثر هذه البلاد ولا يكاد يترك عندهم هل هو سائح أم لا. أم فيه تفصيل بين أن يوصي به أم لا فإن قلت بالمنع والحالة أن ذلك الطعام يستجلب كثيرا من المصلين ويرفعون للميت الفداء وقراءة القرآن كان تركه سببا لغوات هذه المصالح فأجاب بأنه لا يحل أكل طعام الموتى الذي يسمى بالعشاء ولا استعمال الفتائل من كفن الميت بمصباح المسجد ولا غيره إلا إن أوصى به الميت أو تطوع به ورثته وهم رشداء وإن كانوا كبارا وصغارا لم يجز إلا أن يحسبه الكبار من حظهم وجريان العادة بذلك في قطر من الأقطار ليس بمبيح ما دلت قواعد الشرع على منعه وما ذكرت من الفتيا بأكله لاستجلاب الناس للصلاة عليه واستعطافهم على طلب الشفاعة له غير ظاهر إذ لا تنفعه شفاعة العاصي ولا يقبل الله دعاء آكل الربا والحرام كيف وقد ورد في ذلك تهديد ووعيد شديد إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا اهـ. فقد تعاون الناس على البدعة وجعلوها شرعا وصمموا عليها قطعاً وما ذاك إلا من كثرة أهل الجهل وقلة أهل العلم فصار أمرهم لا يسمع ونهيههم لا ينفع لأن العالم اليوم غريب بين جنود من أهل السخرية به والتكذيب والذي ترك البدعة وامتلأ السنة وترك عوائدهم القبيحة وولائمهم البشعة رموه بالبخل وحب الدنيا قال الشاعر:

إني بليت بأربع ترميني \* بالسهم عن قوس لها توتير

إبليس والدنيا ونفسي والهوى \* يارب أنت

على الخلاص قدير  
فترى الواحد منهم لا يؤدي زكاته ولا يفعل ما أوجب الله عليه ولا يعطي سائلا كسرة يسد بها رمقه ولا يعين فقيرا ولا يحمل كلا ولا يواسي جارا ولا ينفق نفقة في سبيل الله فإذا كان عنده ختان أو شبهه مما لم يأمر به الشرع بجمع ولا وليمة جمع الجموع وصنع ألوان الطعام وأوقد الشموع رياء ومباهاة ووسيلة إلى رئاسة وهي في الحقيقة دناءة وخساسة لأن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما ابتغي به وجه الله تعالى: فقيهم لا يعباون بأمره \* وإن جاء زفان يعز ويكرم

وقد تخرج على يد الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي خلق كثير من العلماء والأولياء ومنهم الشيخ سيدي عمرو الكنتي أحد أجداد الشيخ سيدي أحمد الرقادي دفين زاوية كنته التي بيتها وبين الزاوية نحو عشرة أميال تقريبا وبين هاتين الزاويتين قصور وبزاوية كنته ضريح الولي الصالح الشيخ سيدي أحمد الرقادي المشهور بالعلم والصلاح والسر الخارق والخير الكثير وهذه الزاوية تسمى بزاوية كنته ذات الأصل الأصل الثابت في العلم والولاية والصلاح وبهذه الزاوية خزانة كبيرة من الكتب من كل فن من أنواع علوم الشرع وفنونه وكان كل ملك من ملوك المغرب عند ما يتولى

الأمر يرسل إلى هذه الزاوية خزانة كاملة من الكتب النفيسة من كل فن ومن جميع الفنون العلمية ووجدت بها كثيرا من بقايا تلك الكتب النادرة ولكن اندرست بها العلوم ولم يبق إلا آثار العلوم والولاية ولكن اليوم ولله الحمد رجع لها مجدها وشرفها من العلم بواسطة تلميذنا السيد محمد بن السيد مصطفى الذي قرأ علينا بمراكش لأنه لم يتمكن من القراءة علينا حيث كنا بتوات وقد لحق بنا إلى مراكش طالبا للعلم وصاحبنا ولازمنا حتى فتح الله عليه وهاهو اليوم قد أحيا ما كان اندرس من العلوم بتلك الزاوية وهذه الزاوية كانت خاصة بأولاد الشيخ السيد أحمد الرقادي ومواليه حتى قدم على الشيخ شريف من الشرفاء العلويين من تافلات قادما بتجارة من تنبكتو فأقام مع الشيخ وصاهره وهذا الشريف من الشرفاء المحمديين من أولاد مولاي على الشريف دفين تافلات ويوجد بها أولاده اليوم

وهم من أفضل الشرفاء وأكرمهم وأكثرهم سخاء وتواضعا وإنفاقا وإكراما للفقراء وأبناء السبيل وخفض جناح الرحمة التي قل أن يوجد مثلها في غيرهم ومحبة للعلم وأهله وحضور مجالس الخير ولهم زاوية تطعم الطعام للأضياف الوافدين عليها من قريب وبعيد ويعرفون بأولاد مولاي إسماعيل وبها اليوم الشريف السيد مولاي سالم المعروف بالزهد والقناعة والعلم والتواضع ويقرب هذه الزاوية قرية صغيرة تسمى بالمناصير كان يسكنها العالم العلامة السيد محمد بن عبد المؤمن وهذه القرية أهداها له أحد شرفاء زاوية كنته

وكانت لهم القيادة بتلك الناحية يقال إنه وقعت عند الشرفاء تركة كثرت بها المناسخات وتشعب أمرها وكثرت ورثتها وعسر حلها على العلماء الموجودين بتلك الأقطار فلم يستطيعوا لها حلا بل قالوا إنهم أرسلوا بها إلى فاس فلم يجدوا لها حلا فعندها تصدى لحلها هذا الفقيه فحل مشكلتها وأعطى لكل ذي حق حقه وكل وارث ما ينوبه فأهدوا له هذه القرية الصغيرة وهذا الفقيه أصله من الشرفاء السباعيين وأهل زاوية كنته المرابطون موصوفون بالعلم والولاية والتواضع والخير ومنهم الرقادة ونسبهم يرجع إلى بني فهر والعلم فيهم قديم وقد نظم بعض أوليائهم الولي الصالح محمد بن بكو العلوي لما أصابه مرض واستغاث بهم فشفاه الله من مرضه وهذا الناظم هو الولي الصالح صاحب كنز العسلة فأزال الله عنه ما كان يشكو منه من مرض وفقر. وكان يسكن بزاوية كنته قديما العالم المشهور بالتأليف الكثيرة الشيخ السيد محمد بن أبَّ صاحب العبقرى وغيره من المنظومات والتأليف الكثيرة ويقرب من زاوية كنته قصر قديم وكبير جدا يسمى بأولاد الحاج وسكانه من أجود العرب وأسخيائها وأكرمها وبه تلميذنا أبا يوسف ويقرب هذا القصر زاوية الشيخ سيدي علي بن حنيني الأنصاري صاحب الزاوية العامرة بالخير الحسي والمعنوي من إطعام الطعام لكل زائر بذلك المقام من خاص وعام وتسمى تلك الزاوية بزاقلو المرابطين لأن سكان تلك الزاوية كلهم ينتسبون إلى الأنصار ويرجع نسبهم إلى أبي أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ المدفون بباب اسطنبول بتركيا مات شهيدا في بعض غزوات الفتوحات الإسلامية فدفن هناك

والشيخ سيدي علي بن حنيني زاويته كلها حبس على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل ولها أملاك كثيرة والكل يصرف على الوافدين إلى الزاوية والكبير من أولاده هو الذي يتولى أمور الزاوية وهكذا أمرها قائم على هذا الحال إلى اليوم وكان فيهم العلم والصلاح والكرم والشهامة والخير ومن أجل علمائهم الشيخ السيد محمد بن العالم صاحب النظم الغريب في القرآن المسمى بالفية الغريب لابن العالم وفيهم كأسلافهم محبة آل البيت النبوي يعظمون الكبير

والصغير والغني والفقير من الشرفاء على حد سواء وأبناء هذا الولي الصالح الأولون كانوا على درجة كبيرة من الكشف والجذب كسيدي أحمد الدردار يحكى عنه أنه قال لا تدخل فرنسا لتوات مادمت حيا وإني قد جعلت رجلي عليهم فلا يدخلون حتى أموت وقد سلت رجله ولم تدخل فرنسا لتوات حتى مات رحمه الله

سنة سبعة عشر وثلاثمائة وألف هجرية 1317 هـ وقد أدركت أنا من صالحه السيد علي بن المكي والسيد أبا بكر بن سيدي أحمد الدردار وكانا على درجة عالية من الصلاح والخير ولا زالت ذريتهم على ذلك الذي كانت عليه آبائهم وأسلافهم ويوجد بقرب هذه الزاوية قرية صغيرة يقال لها بوحامد سكانها من أولاد سيدنا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وبها تلميذنا الذي قرأ علينا من الرعيّل الأول المسمى السيد الحاج أحمد بن السيد الحاج محمد البوحامدي وله مدرسة كبيرة يعلم بها العلم لأهل تلك الناحية كلها وكانت له أم صالحة وكانت ترى النبي ﷺ كثيرا وهو في غاية الاستقامة وحفظ القرآن الكريم والمداومة على دراسة العلم الشريف ويقرب من هذه الزاوية قرية اسمها توريرين سكانها شرفاء محمديون علويون ومن معهم وبها الشريف السيد مولاي التهامي ابن سيدي محمد وكان كثير الحج إلى بيت الله الحرام وفي بعض الأحيان يقيم هنالك مدة ثم يرجع وبهذه القرية تلميذنا الصادق السيد عبد الرحمن وأخوه السيد محمد أبنا الطالب الصديق ويقرب من هذه القرية قرية اسمها إكيس بها ضريح الولي الصالح السيد بوتدارة القطب المشهور بالكرم والجود وله ذرية كرماء صلحاء وهم من ذرية سيدنا العباس عم النبي ﷺ ومن القصور الكبيرة قصر يقال له باعمور وهو من القصور الكبيرة وبه رجل فاضل وهو السيد الحاج عبد الرحمن بن القايد العابد مع إخوته وجماعتهم وهم من قبيلة أولاد دليم وهم من أفضل الناس وكذلك جميع سكان باعمور فإنهم من أهل جود وكرم ومن القصور الكبيرة القصر المسمى بتطاف وهو أكبر قصر وأقدمه ويوجد به كثير من الأولياء والصالحين ومن تلك القصور القصر المسمى بنوم الناس ومنها الأحمر وبه ضريح الشريف مولاي الحسن الوزاني ومن تلك القصور قصر سيدي يوسف

وأهله مرابطون ويقرب منه الولي الصالح السيد المختار الكنتي ومن جملة القصور المشهورة بالولاية زاوية الولي الصالح السيد عبد القادر الكنتي أيضا المشهورة بالكرم والإنفاق في سبيل الله وبزاويته أولاده وأتباعه ويرجع نسبه إلى فهر ويقرب هذه الزاوية قصور كثيرة يسكنها الشرفاء العلويون والمرباطون والعرب وغيرهم كالقصر المسمى بالمنصور وسكانه من الشرفاء كبقية تلك القصور وودعاء التي يسكنها أبناء الشريف الصالح السيد مولاي الزوين والقصر المسمى بأعباني القرية التي يسكنها الولي الصالح مادم الرسول ﷺ ومحب الأولياء السيد محمد بن بكو الظوى صاحب كنز العسلة المتقدم الذكر. وفيها قبر العالم العلامة الولي الصالح سيدي محمد إداو علي الذي أخبر عن نفسه بأنه رأى النبي ﷺ في المنام وقال في ذلك أبياتا ثلاثة:

لقد كنت أسري في الضلالة والهوى \*  
فَمَنَّ علي من له الحمد والملك  
أراني رسول الله في النوم جهرة \* وقد  
أشرقت من نوره الظلم الحلك  
فقبلني المختار حقا وقال لي \* مقالا  
به أزيل عن مهجتي الشك

ومن تلك القصور بل ومن أقدمها وأكبرها القصر المسمى بعزّي وسكانه الأولون ينتسبون إلى سيدي محمد بن الحنفية بن سيدنا علي كرم الله وجهه وبهذا القصر يوجد حبيبنا وصديقنا الأوفى الأبر الكريم الذي لا يوجد له نظير في الجود والكرم في عصره السيد الحاد محمد البركة بن الحاج عبد الرحمن والذي قدم على تلك القرية للتجارة واستقر بها وهو من قصر بتيمي يسمى أولاد إبراهيم وقد جعله الله رحمة للمسلمين في تلك المفازة التي يسكن بها اليوم وجزاه الله عنا وعن سائر المسلمين خيرا وبارك فيه وفي ذريته آمين. ومن جملة قبور الصالحين ضريح الولي الصالح السيد التوجي البكري وقبره بعيد من القصر وإنما هو مدفون في فلاة من الأرض وكذلك ضريح الولي الصالح سيدي عبد الله العصموني والذي يوجد قبره خارجا عن قصر كبير من قصور توات يقال بوفادي وهذا القصر من أقدم القصور بتوات وسيدي

عبد الله العصموني هذا كان من معاصري الشيخ السيد محمد بن عبد الكريم المغيلي وهو من جملة العلماء الذين عارضوه في قتل اليهود الذين كانوا تحت ذمة المسلمين في أرض توات. وقبره خارج عن القصر والناس يضعون بجوار قبره التمر والقمح والشعير والخطب ولا يقدر أحد أن يأخذ من هذه الأمانات شيئاً ولو عصاً. ومن أخذ شيئاً منها مما ليس له فإنه لابد أن يقع له عقاب في نفسه أو ماله والكثير من الناس متفقون على هذه الحكاية المشهورة المتداولة بين الخاص والعام. حتى أن الفأر إن أخذ ثمرة فإنه يموت بقربها فأحرى غيره من الناس على ما يحكى وحكى لي بعض الطلبة الساكنين بهذا القصر أنه خرج ذات ليلة في غسق الليل لبعض حوائجه فمر بهذا الضريح فسمع القراءان من الضريح وسكان هذا القصر كلهم فضلاء ومن جملة قصور توات بل ومن أعظمها وأقدمها القصر المسمى بتمنطيط وكان في القديم معقلاً لليهود ولما أجلى الله اليهود عن أرض توات صار مركزاً وشعاعاً للعلم والمعرفة واقتباس الهدى والفصل بين الناس بالحق والعدل عند ما استقر به أولاد الولي الصالح والقطب الفائح سيدي محمد البكري نفعا الله ببركاته وبعلمه آمين وأولاد هذا الولي الصالح فيهم العلم قديماً ومشهورين بالصلاح والتواضع والكرم والخير الكثير ومحبة أهل البيت النبوي وأدركت منهم الفقيه الجليل العالم العلامة النبيل سيدي أحمد بن ديدي وله مدرسة يعلم فيها العلم لأبناء المسلمين لا يشغله عنها شاغل وله ولدان قاضيان السيد الحاج عبد القادر والسيد محمد البركة وبجانبه ابن عمه الفقيه الأجل السيد محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري وكان قاضياً وله ولدان السيد عبد الكريم والسيد أحمد وهذا الأخير كان يقرأ علينا وانتفع وتضلع في العلوم جدا لأن الدر من معدنه والجوهر من عادته وأولاد السيد البكري كلهم في غاية النبل والكرم والجود وفي قصر تمنطيط هذا بجانب أولاد سيدي البكري أولاد ابن موسى وهم من أفاضل الناس وأكرمهم وأسرعهم للخير وفيهم الرئاسة والقيادة ونسبهم قيل لي أنه يرجع إلى سيدنا ومولانا إدريس ؑ وكان فيهم علما



من أبناء عمهم اسمه السيد محمد البركة وكان له باع وإطلاع بالتاريخ ومعرفة عالية بأنساب الناس الشيء الذي يذهل العقول وكانت بيننا وبينه محبة عظيمة واتصال دائم ويوجد بجانب أضرحة أبنا السيد البكري ضريح الولي الصالح سيدي ناجم وكان رجلا صالحا في ما يحكى وله أولاد صالحون وأكثرهم مجاذيب ويقرب من تمنطيط بنحو ثمانية أو عشرة أميال أحد مراكز توات الكبير المسمى بتيمي وأدرار وتيمي عبارة عن قصور كثيرة جدا بها أخلاط الناس من شرفاء ومرابطين وعرب وغيرهم وكانت في القديم قبل الاستعمار هي محل الحل والعقد ومجتمع الحرب والسلام لأن القيادة العظيمة كانت بها وكانت تتنافس هذه الرئاسة بينها وبين عين صالح وتيميمون وكانت بها أسواق

يقصدها التجار من كل مكان للبيع والشراء لجميع السلع المتنوعة ولا زالت إلى اليوم هي المركز الكبير للحكم والتجارة والقضاء وبها كثير من الأولياء والصالحين ومن أبرزهم الولي الصالح سيدي سليمان بن علي والولي الصالح سيدي محمد الونقالي ذو الفتوحات والبركات والأسرار الكثيرة وبهذا القصر المسمى بأولاد ونقال حبينا السيد محمد بن عبد الرحمن بن الحاج محمد وابنه تلميذ لنا السيد أحمد وأخوه السيد الحاج محمد وأخوه السيد محمد عبد الله وبتيمي كان قديما العلم والتعليم والقضاء والأحكام الشرعية التي كانت تصدر بتلك النواحي والعلماء الذين كانوا بها جلهم من بلالة وهم الذين نشروا العلم في تلك الربوع فجزاهم الله عن المسلمين خيرا وآخرهم القاضي السيد محمد بن السيد محمد البلبالي مات قبل مقدمنا لتوات ويقال أن نسبهم يرجع إلى الأنصار ومن جملة الأولياء محب الرسول ﷺ ومادحه السيد عبد العزيز والذي كان آية في مدح الرسول ومن حفدته محبنا السيد عبد العزيز أصلحه الله وهداه ويوجد بتيمي تجار من أهل الخير والسخاء والمسامحة وبذل الأموال للفقراء والمساكين وبناء المساجد ومحبة الخير لأهل البلد يجلبون لهم النفع ويدفعون عنهم الشر في كل المناسبات عند ما يريد المستعمر بهم شرا أو فتنة يقفون في وجهه بكل قواهم فجزاهم الله خيراوهم

أولاد أقاسم. ومن أبرزهم السيد الحاج أحمد بن الحاج أقاسم والشريف

السيد مولاي المهدي بن السيد مولاي أحمد والسيد الحاج أحمد كابويا ومولاي الطيب السليماني فهذه الجماعة بارك الله فيها يأملون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطعمون الطعام ويحسنون إلى الأيتام ويحبون الخير وكل جماعة تيمي كذلك من غير حصر ولكل واحد من هؤلاء المذكورين أبناء قائمون مقام الآباء والأسلاف ممن وفقهم لفعل الخير ودفع الشر عن السكان وقد جاء الله بعد هؤلاء الذين ذكرتهم بسكنى تيمي والتجارة الشريف الكريم السيد مولاي عبد القادر بن الشريف السيد مولاي علي الغول وإخوته السيد مولاي عبد الكريم والسيد مولاي أحمد فإن فضله وجوده وإحسانه حكى فضل من تقدم فإن بيتهم عامر ومفتوح في وجه الزائرين لكل الطبقات الشعبية الفقير والضعيف والمحتاج والغني والشريف والمشروف فكل من قصد ذلك البيت يجد فيه ما يحتاج إليه من ترحيب وضيافة وتبجيل وإكرام وفقهم الله لهذا الفعل الجميل وبارك فيهم وفي أعمالهم الجميلة وفيها محبنا السيد الحاج عبد القادر التيطافي وأبناؤه بارك الله فيهم ويوجد الآن بأدرار بحر عظيم من العلم والكرم والحلم ألا وهو الأستاذ الجليل الذي عم نفعه الآفاق وكان للداء كالترياق السيد الحاج محمد بن محمد عبد الله بن الكبير البوداوي العثماني فإنه الآن في توات مركز إشعاع في العلم والتقوى وقد جمع بين الحقيقة والشرعية والمنقول والمعقول اغترف من بحر شيخه القطب الرباني والهيكل الصمداني الشيخ سيدي أحمد ديدي وتخرج من مدرسته وقد استفاد من بعض العلماء في تلمسان وغيرها فازداد بذلك إثراء ومن أول السبعينات في هذا القرن الرابع عشر من الهجرة استقر بمدينة أدرار فكان هو إمام المسجد الكبير وفتح مدرسة كبيرة اشتهر صيتها في كل الأصقاع فقصدها الطلبة وقد تخرج منها كثير من الفقهاء والطلبة الذين فتح الله عليهم على يديه والكثير من الأئمة ومعلمي القرآن الذين التحقوا بالمساجد والكتّاب القرآنية في توات وغيرها تخرجوا من مدرسة الأستاذ المذكور كما أن كثيرا من الأساتذة

الذين هم الآن في التعليم الثانوي والمتوسط كانوا ممن تخرجوا على يديه وبالجملّة فإن مدرسته قد ظهرت نتيجتها وأنت أكلها بإذن ربها وقد كان من تلامذته ولدنا الأبر عبد الله ومن تلامذته الذين انتهجوا نهجه وتحلوا بأخلاقه واغترفوا من بحره السيد الحاج سالم بن إبراهيم وغيرهما وقد كان معنا بمنزلة الولد البار في الاحترام والإكرام وكنا له بمنزلة الأب الرحيم وله عقيدة ممتازة في العلماء والصالحين والأولياء وخصوصا آل البيت النبوي وفي أشياخه أولاد الشيخ سيدي أحمد بن موسى الكرزازي بورك فيه وجزاه عنا وعن المسلمين خيرا ولا زال باب مدرسته مفتوحا على مصرعيه للوافدين عليها من كل الجهات من الجزائر وغيرها لطلب العلم كما أن زاويته للأضياف والمساكين قائمة على أشدها فكل من يريد حاجة دنيوية أو أخروية إلا ويؤمها وصارت كنار على علم وإن لتلامذته طابعا خاصا في الأدب والأخلاق الفاضلة والتقوى بارك الله في الجميع فتح على الجميع أمين. ويوجد بقصور تيمي كثير من أهل الفضل والخير والصلاح والولاية وقد أدركنا منهم بعض الفضلاء والأخيار وكذلك يوجد بها كثير من الزوايا التي تطعم الطعام للفقراء والمساكين وأبناء السبيل على ممر الليالي والأيام لما خص الله به أهل توات من الصلاح والبذل في سبيل الله ولو من القليل ومحبة العلم وأهله، فمن أجل ذلك خصهم الله بالكرامات التي كثيرا ما تجري على أيدي بعض أولياء الله الصالحين وكثيرا ما هم في ذلك القطر العزيز وكان بقصور تيمي الولي الصالح الشريف سيدي مولاي علي بن سيدي حماد ذو الكرامات الظاهرة وانتقل سره إلى ابنه السيد مولاي العربي وكان بيننا وبينهم خصوصية وسر عظيم، وكان بقصر تيلان السيد الحاج عبد الرحمن الولي الكبير الذي كانت له كرامات عظيمة. وكان يخبر عن قدوم القادمين على الزيارة بزاويته قبل وصولهم إليها في ما يحكى، وأهل هذه الزاوية موصوفون بالكرم وحسن الضيافة ومحبة آل البيت النبوي محبة خارقة للعادة وفي هذه القرية تلميذنا السيد الحاج محمد الحسن بن الحاج الطيب ويحكى أن جده كان مشهورا بالكشف الظاهر وقديما كانت تيمي

مركزا للحكم لأن أبناء الحاج العباس كانوا يسكنون بها  
ومنهم أباحسون المشهور بالشجاعة والإقدام.  
[ الكلام على تسفاوت ]

ويوجد غروب تيمي قصر كبير يسمى بتسفاوت وفيه  
ضريح الولي الصالح سيدي الحاج محمد بن المجبر  
وضريح ابنه السيد الحاج المختار وهذا الولي يتصل  
نسبه بالصحابي الجليل سيدي جابر بن عبد الله  
الأنصاريؑ وذريته في غاية الكرم والخير ومحبة العلم  
وأهله وهم معروفون بالحياء والوقار والوفاء بالعهد  
والعفاف والتذلل والتدين والاقتصاد في الأمور كلها  
كأهل توات كلهم فإنهم على هدي السلف الصالح  
وبهذه الأوصاف الصالحة عرفوا في القديم والحديث  
فهم معدن الخير ويوجد بهذا القصر أي قصر تسفاوت  
مدرستنا التي يسيرها ويشرف عليها خليفتنا الثاني  
الصالح المصلح الشريف السيد مولاي الحبيب بن  
مولاي عبد الرحمن السالي فأنعم بع من فقيه وخليفة  
وابن وهذه المدرسة منذ تأسيسها وأهل هذه القرية  
هم القائمون عليها بكل ما تحتاج إليه المدرسة والطلبة  
من ذلك اليوم إلى يومنا هذا مع حبيبنا وصديقنا  
الأوفى الأبر الصادق المخلص السيد الحاج محمد البركة  
بن الحاج عبد الرحمن الشديدي والسيد الحاج سليمان  
وجميع أهل هذا القصر كبيرهم وصغيرهم ذكرهم  
وأنتاهم وأهل تلك الناحية جميعا جزاهم الله وعن العلم  
وأهل البيت بأحسن الجزاء وبارك فيهم وفي ذريتهم  
وأموالهم وعملهم المبرور هذا إلى يوم القيامة، وبارك  
في القائم على التدريس والقراءة والتسيير إنه على  
يشاء قدير وبالإجابة جدير وفتح عليه وعلى يديه وعلى  
الطلبة أجمعين وعلى من أعانه وعلى من اعتقد فيه  
الخير وأجرى على يديه النفع العام للقريب والبعيد  
وجعل

هذا المحل معمورا بالعلم والمعرفة والمتعلمين إلى  
يوم الدين آمين. فطوبى لكم يا أهل تسفاوت بما حباكم  
الله به من الفضل والشرف فحافظوا عليه فهو عزكم  
وشرفكم.

[ قصور بودة ]

ويسامت تيمي من جهة الغروب قصر بودة وهي عبارة  
عن قصور كثيرة يوجد بها مرابطون جعفريون وغيرهم

وعرب أصليون وتقام عند ضريح الولي الصالح سيدي الشيخ ابن عומר زيارة كبيرة فاخرة يقصدها الناس من كل الآفاق يقصدون التبرك والدعاء عند ضريح هذا الولي الصالح وكذلك عند ضريح الولي الصالح محب الرسول ﷺ الحاج محمد بن المبروك العلامة مادح الرسول ﷺ وأهل بودة كلهم من أفاضل الناس وأكرمهم ومنهم الفقيه الجليل العلامة النبيل الصابر والمصابر والمثابر السيد الحاج محمد بن عبد الله شيخ المدرسة الكبيرة الكائنة بتميمي المتقدم الذكر وهو من ذرية سيدنا عثمان لأبيه وأمه من أبناء الرحموني العالم الكبير الشريف من الرحامنة بالمغرب وغالب أهل بودة أتباع للولي الصالح السيد أحمد بن موسى دفين كرزاز نفعا الله به وبأمثاله وبها يسكن محبنا التالي لدلائل الخيرات سيدي علي من أولاد الولي الصالح الغوث والقطب الفائح سيدي أحمد بن عبد الصادق ومن قصور توات القصر المسمى بمراقن القريب من تيمي وأهله من أفاضل الناس وأحسنهم خلقا وخلقاً ومن هذه القصور قصر يقال له السبع ويوجد به ضريح الولي الصالح الشريف السيد محمد عبد الله السباعي وأولاده هم الذين يوجدون بهذا القصر مع مواليتهم وهم في غاية الجود والكرم وأبوهم هذا تلميذ للشيخ سيدي أحمد بن موسى وبنيت على ضريحه قبة كبيرة تقام لها زيارة كما في أولياء توات نفعا الله بهم أجمعين. ويجوار هذا القصر قصر صغير يقال له القرارة وبه ضريح الولي الصالح سيدي عبد الله بن الشيخ نفعا الله ببركته.

### [ قصور الهبلّة ]

ومن هذه القصور قصور الهبلّة وسكانها شرفاء علويون وجدهم يقال له مولاي علي بن بوبكر المشهور بالكرامات والفتوحات وأولاده معروفون بالكرم والجود وحسن الضيافة والسخاء والجد والشجاعة والإقدام والمسارة إلى فعل الخير والإحسان ومن أبرزهم بل ومن أعيانهم وأكرمهم الشريف السيد محمد بن مولاي سالم وهو القائم والبارز في تلك الناحية بالسخاء والفتوة وكثرة الأضياف الوافدين من كل الآفاق فالنازل بفناء داره لا يحس بفرق أهله ولا عشيرته لما يجد في ذلك المنزل من حسن الضيافة والبشاشة والخلق

الكريم فبارك الله في شرفاء الهبة ومن أولاد سيدي مولاي علي بن بوبكر بيت ولاية ومعرفة واحترام وتوقير وإجلال وهو بيت الشريف السيد مولاي امبارك وأبنائه تبارك الله ما أجود الشرفاء الهبلاويين وهذه القصور التي من جملتها الهبة يطلق عليها اسم تسابيت وهي قصور عديدة أكبرها القصر المسمى بابرينكان وهو قصر كبير قديم جدا ويسكنه عرب أفاضل كرماء ومرابطون وبعض الشرفاء والموالي. ومن هذه القصور قصر يقال له حماد وفيه

يسكن تلميذنا الولي الصالح الكريم المجذوب السيد مولاي عبد المالك ابن السيد مولاي الشريف والذي ينتسب إلى أولاد مولاي الشيخ من المحمدين وإلى مولاي عبد الله الرقاني من جهة أمه وهذا الشريف قرأ علينا مدة من الزمن وكان على درجة عالية من العبادة والذكر وقراءة القرآن والزهد في الدنيا فكان لا يستقر بيده شيء منها ومن جملة هذه القصور أي قصور تسابيت قصر الولي الصالح السيد محمد عريان الراس وهذا القصر هو الذي يسكنه أبناؤه ومن معهم وهم معروفون بالصلاح والجود والكرم والفتوة النادرة وهذا القصر هو القصر الشمالي من قصور تسابيت بل وحتى من قصور توات من الجهة الشمالية الغربية.

[ تنبيه ] يوجد بالهبة المذكور بيت من أبناء الولي الصالح الشيخ السيد أحمد بن عبد الصادق محب

الرسول ﷺ ونسبه يتصل بسيدنا الحسين بن علي ﷺ وكرم وجهه والشرفاء الحسينيون قليلون بالمغرب كله والشرفاء الحسينيون هم الكثيرون لأن الشرف إنما يتفرع من سيدنا الحسن وسيدنا الحسين وسابيين لك أيها القارئ بحول الله وقوته النسب الحسيني والنسب الحسيني مفصلا في هذا الباب التالي. انحصر عقب الحسين في علي زين العابدين كما أنه انحصر عقب الحسن في الحسن المثنى وزيد. وزين العابدين أي سيدنا علي هذا قد انحصر عقب سيدنا الحسين فيه قال الشيخ فنون في الدررة المكنونة في النسبة الشريفة المصونة [فائدة] اعلم أنه لم يعقب من أولاد سيدنا الحسن الاثني عشر إلا الحسن المثنى وزيد كما أنه لم يعقب من أولاد سيدنا الحسين إلا علي الأصغر الملقب بزین العابدين ولم يكن لزين العابدين نسل إلا

من ابنة عمه الحسن وقد أشار إلى ذلك الفقيه النبيه  
 سيدي محمد بن عبد الرحمن اللائي في منظومته درة  
 التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان بقوله:  
 والنسل في السبط الكريم الحسن \* في  
 ابنه زيد والمثنى الحسن  
 فمنهما العقب طاب وانتشر \* وكل ما  
 ولد كان اثني عشر  
 فعابد الإله ثم جعفر \* وعابد  
 الرحمن عمرا ذكروا  
 حمزة طلحة محمد قاسم \* كذا أبو  
 بكر الحسين الأثرم  
 وبالمثنى وأخيه زيد \* قد كمل العد  
 بغير زيد  
 خلف زيد حسنا كجده \* وفيه بيت  
 نسله ومجده  
 وبنته نفيسة الأوان \* ما إن لها  
 في عصرها من ثان  
 سليله الحسن من خير ولد \* وقبرها  
 بمصر خارج البلد  
 أما الحسين السبط ذو الجاه العلي \*  
 فأنحصر العقب في ابنه علي  
 وهو زين العابدين الأزهر \* عرف  
 بالأصغر وهو الأكبر  
 كان له من صلبه أولاد \* أعقب منهم  
 ستة أمجاد  
 محمد الباقر ذو المفاخر \* ثمت عبد  
 الله وهو الباهر  
 علي الأصغر ثم عمر \* زيد الشهير  
 والحسين الأصغر  
 والشرفاء الصقليون والعراقيون حسينيون، والكثير في  
 المغرب الحسينيون وأما الحسينيون فهم قليلون في  
 المغرب والمحقق والمشهور منهم فيه هم الصقليون  
 والعراقيون، وللعلامة القاضي سيدي أبي القاسم ابن  
 العلامة الشهير القاضي سيدي سعيد العميري منظومة  
 في مشاهير الشرفاء الحسينيين  
 والحسينيين قال فيها لما على الحسينيين ما نصه:

ومن بنيه عندنا بفاس \* بيت  
الصقلي العاطر الأنفاس  
ثم العراقيون هم سواء \* تواترت  
بذلك الأنباء

وليس يلزم الذي قد ألفا \* مستطردا  
ذكر جميع الشرفا

[الكلام في مولانا الحسن السبط ابن  
علي كرم الله وجهه]

فأما الحسن فهو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي  
طالب ولد في شعبان سنة ثلاث من الهجرة وعند  
مصعب الزبيري ولد للنصف من شهر رمضان وسماه  
الرسول ﷺ حسنا وبويع له بالخلافة يوم مات أبوه  
واستمرت له سبعة أشهر وإحدى وعشر يوما ثم صالح  
معاوية بعد أن كاد جيشاهما يلتقيان فنزل له عن  
الخلافة على أن تكون له الخلافة بعد من معاوية وعلى  
أن لا يطلب أحد من أهل المدينة والحجاز والعراق  
بشيء مما كان في زمن أبيه وأن يمكنه في بيت المال  
ليأخذ منه حاجته ففرح معاوية وأجاب وبعث إليه معاوية  
بريق أبيض وقال له اكتب لي ما شئت فيه فالتزمه  
فاصطلحا على ذلك فكتب إليه الحسن كل ما اشترط  
عليه فيه من الأمور المذكورة واشترط أن يكون له  
الأمر من بعده فالتزم ذلك كله معاوية فاختلع الحسن  
نفسه وسلم الأمر إلى معاوية ﷺ تورعا وقطعا للشر  
وإطفاء لنار الفتنة وكان كما قال رسول الله ﷺ {إن  
ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين  
من المسلمين} اهـ. ملخصا من الاستيعاب لابن عبد  
البر. ثم رحل إلى المدينة المنورة ولم يزل بها إلى أن  
مات. وكان ﷺ أشبه الناس برسول الله ﷺ من رأسه إلى  
صدره وأخذه أبوبكر ﷺ وهو خليفة وحمله علي عاتقه وهو  
يقول بأبي شبيه بالنبي ﷺ لا بعلي وكان من أكرم الناس  
يصل الرجل الواحد بمائة ألف وكان كثير الطلاق وتزوج  
ﷺ تسعين امرأة قال ابن سيرين تزوج الحسن امرأة  
فبعث إليها بمائة جارية كل جارية بألف درهم. ورجع  
عشر مرات ماشيا تقاد بين يديه النجائب. ويروى أن  
معاوية ﷺ قال يوما لأهل مجلسه وكان فيهم عمرو بن  
العاص ﷺ أخبروني عن أكرم الناس أمأ وأبأ وجداً وجدةً



وخالاً وخالةً وعماً وعمّةً فقام أبو النعمان الزرقى  
 فأخذ بيد الحسن فقال هذا أبوه  
 عليّ وأمه فاطمة رضي الله عنها وجده رسول الله  
 وجدته خديجة الكبرى رضي الله عنها  
 وعمه جعفر الطيار وعمته أم هانئ بنت أبي طالب  
 رضي الله عنها وخاله أبو القاسم بن محمد وخالته  
 زينب بنت محمد عليها السلام فقال عمرو بن العاص  
 حب بني هاشم دعاك إلى ما فعلت فقال أبو النعمان  
 أما علمت أن من التمس رضا مخلوق بسخط الخالق  
 حرمه الله أمنيته وختم له بالشقاء من آخر عمره. بنو  
 هاشم أنصر قريش وأفخرها سلفاً وأفضلها أحلاماً  
 أجمعين. توفي الحسن سنة سبع وأربعين في ربيع  
 الأول بسبب سم سقيه سقته جارية دسها له يزيد بن  
 معاوية وأوصى أن يدفن مع جده في الحجرة الشريفة  
 إلا أن يخشى إراقة دم فيدفن في البقيع فدفن في  
 البقيع خشية الفتنة وقال مصعب الزبيري مات لخمس  
 خلون من ربيع الأول ودفن ببقيع الغرقد وصلى عليه  
 سعد بن العاص وكان أمير المدينة ...  
 وخلف الحسن الحسن المثنى وهو جد إدريس بن  
 إدريس وزيدا وعمرا وطلحة وذكر ابن حزم محمداً  
 والحسن الأثرم وفي جمهرة الزبير<sup>3</sup> وخلف القاسم  
 وأبا بكر ولا عقب لهما قنلا بالطف وعبد الرحمن أمه  
 أم ولد. ولا عقب له إلا في ولده الحسن المثنى وزيد  
 وكانت الخلافة في أقطار الأرض دون غيرهما وفي  
 كتاب بحر الأنساب أن الحسن السبط لم يعقب إلا من  
 الحسن المثنى وزيد. وزيد أكبر سناً من الحسن المثنى  
 توفي وهو ابن مائة سنة. وأما الحسن المثنى فقال  
 مصعب الزبيري إن الحسن بن الحسن أمه خونة بنت  
 منظور وكان الحسن بن الحسن وصي أبيه وولي صدقة  
 علي بن أبي طالب. وكان الحجاج بن يوسف قال له  
 يوماً أدخل عمك عمر بن علي معك في صدقة علي  
 فإنه عمك وبقيّة أهلك فقال لا أغير شرط علي ولا  
 أدخل فيها ممن لم يدخل قال إذا أنا أدخله معك فنكس  
 عنه الحسن حين غفل ثم كان وجهه إلى عبد الملك بن  
 مروان. وملخص القصة أنه دخل على عبد الملك فأكرم  
 نزله ورحب به وأحسن مساءلته وكان الحسن قد أسرع

<sup>3</sup> جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار

إليه الشيب فقال عبد الملك قد أسرع إليك الشيب فقال أما إن أهل البيت يسرع لنا الشيب ثم أخبره بقول الحجاج فقال ليس له ذلك أكتب له كتابا لا يجاوزه من أصله. وكتب له. وله من الولد سبعة عبد الله الكامل أبو مولانا إدريس الأكبر دفين زرهون والحسم المثلث وإبراهيم العمر وعلي العابد وداود وجعفر ومحمد. أما عبد الله الكامل فكان فقيها محدثا خطيبا أدبيا جوادا سخيا بطلا شجاعا زاهدا ورعا وهو جد مولانا إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل باتفاق النسب لقبه الكامل إذ كان أكمل أهل زمانه حسا ومعنى لما اتصف به من الدين والعلم. إذ كان أبوه الحسن بن الحسن بن علي وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي فحاز الشرف من أبيه وأمه. وقد قال ابنه محمد ذو النفس الزكية لمن فاخره من أهل البيت أنا ابن علي الذي والده هاشم مرتين لأن أبا علي أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم. وأنا ابن الحسن الذي ولده عبد المطلب مرتين لأن أباه علي بن أبي طالب بن عبد المطلب وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب. وأنا ابن جده عبد الله الكامل الذي والده ﷺ مرتين لأن أباه الحسن بن الحسن سبط رسول الله ﷺ وأمه فاطمة بنت الحسين سبط رسول الله ﷺ. بقي عليه أن يقول ولده خديجة مرتين وولده علي مرتين وولده فاطمة الزهراء مرتين. ومحمد ذو النفس الزكية هذا أخو إدريس هو جد الشرفاء السجلماسيين وإدريس ومحمد ذو النفس الزكية أخوان. فالأدارسة والسجلماسيون أبناء عم يجمعهم عبد الله الكامل ﷺ أجمعين. ولعبد الله الكامل من الأولاد ستة محمد ذو النفس الزكية وإبراهيم وموسى الجون ويحيى وإدريس وسليمان وعيسى السابع إلا أنهم لم يعدوه لأنه مات صغيرا. وأما مولانا إدريس الأكبر بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء ﷺ فقد حاز من هذا النسب أعلى درجات الرتب وصار للشرف به جرثومة وناهيك به من أرومة وأخباره وفضائله ومآثره لا تحصى ولا يحاط بها ولا يستقصى وقد ملئت الدواوين من تعداد وصفه من أصل نشأته إلى لحده وقد ذكر صاحب الدر النفيس من

بركته وما أظهر الله على يديه من الأسرار ما تحار فيه الأفكار وتركنا ذلك لوضوحه لأنه كالشمس في رابعة النهار فهو سلطان المغرب كله وحسنة من حسناته ولقد منَّ الله على المغرب وأكرمه بظهور إدريس فيه ولم يظهر فضله ويستقر سلامه ويدعن أهله إلا ببركة المولى إدريس<sup>١</sup> وسبب قدومه عليه مذكور في غير ما مصنف كالدر النفيس وغيره فلا نطيل بإيراده... وكان قدومه إلى أرض المغرب سنة اثنين وسبعين ومائة 172هـ ولما أمر أمره وظهر سلطانه وانتشر صيته واشتهرت غزواته وسار بها عنقاء مغرب وأعرب عن بيعته جميع قبائل المغرب وصل خبره إلى هارون الرشيد فاغتم لذلك غما شديدا وعظم عليه شأنه وضاق عليه حيلته وعيل صبره فبعث إلى وزيره يحيى بن خالد البرمكي فأخبره بأمر إدريس واستشاره فيه فقال يحيى بن خالد يا أمير المؤمنين فمن الرأي أن تبعث له رجلا ذا حزم ومكر ولسان وإقدام وجراة يقتله وتستريح منه فقال له الرأي ما رأيت فمتى يكون الرجل فقال له يا أمير المؤمنين أعرف في جيشي رجلا اسمه سليمان بن جرير من أهل الحزم والإقدام والفتك والشجاعة والعلم بالجدل والكلام والدهاء أبعثه إليه فقال أسرع بذلك فخرج الوزير إلى سليمان بن جرير فعرفه المقصود وما يريد منه أمير المؤمنين ووعده على ذلك الرفعة والمنزلة العالية وأعطاه أموالا جليلة فخرج سليمان بن جرير من بغداد مجدا السير متبرئا من الدعوة العباسية حتى وصل إلى المغرب فقدم على إدريس بمدينة ويلي فسلم عليه فسأله إدريس عن اسمه ونسبه ومن أي البلاد قدم وما سبب قدومه إلى المغرب فذكر أنه من بعض موالي أبيه وأنه اتصل به خبره فأتاه برسم الخدمة لأجل محبته وولايته لأهل البيت فأنبأ به إدريس وسكن لقوله وسر به سرورا عظيما قال أهل التاريخ ولم يزل سليمان بن جرير عند إدريس يرتقب فيه الفرصة ويعمل في قتله الحيلة فلم يجد إلى ذلك سبيلا من أجل مولاه راشد الذي لا يزايله ولا يفارقه إلى قدر الله تعالى أن غاب راشد ذات يوم في بعض شؤونه فدخل عليه سليمان بن جرير فوجده وحده فجلس بين يديه على عادته فتحدث معه مليا فلم ير لراشد أثرا

فانتهر الفرصة واغتتم الخلوة وقال له ياسيدي جعلت فداك أبي جئت من المشرق بقارورة طيب أتطيب بها ثم إني لما رأيت هذه البلاد رأست ليس بها طيب رأيت أن الإمام أولى بها فخذها تطيب بها فقد أثرتك على نفسي بها وهذا من بعض ما وجب لك علي ثم أخرجها من وعاء ووضعها بين يديه فشكر إدريس ثم أخذ القارورة ففتحها وشمها فلما رأى سليمان بن جرير الإمام إدريس قد فتح وجعل له مراده منه فصار إلى منزله وركب فرسا من عتاق الخيل وساقها وكان قد أعده لذلك وخرج من مدينة ولىلى يطلب النجاة وكانت القارورة مسمومة فلما استنشق إدريس الطيب صعد السم إلى دماغه فغشي عليه وسقط على الأرض على وجهه لا يفهم ولا يعقل ولا يعلم أحد ما به ولا ما أصابه واتصل خبره براشد مولاه فأقبل إليه مسرعا فدخل عليه فوجده يجود بنفسه وقد أشرف على الموت وهو لا يقدر أن يبين الكلام وتوفي رحمه الله وكانت وفاته في فاتح شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعين ومائة. 177 هـ وكانت إمارته خمسة أعوام وسبعة أشهر ولما توفي الإمام إدريس نظر راشد إلى سليمان بن جرير فلم يجده فأخبر عنه أنه لقي على أميال كثيرة فعلم حينئذ أنه سمه فركب في جمع من البرابر وخرج في طلبه وجد السير طول ليله وتقطعت الخيل في أثره فلم يلحقه أحد من القوم إلا راشد وحده أدركه وهو يجوز وادي ملوية فصاح به راشد وشد عليه بالسيف فقطع يده اليمنى وشجه في رأسه ثلاث شجات وجرحه في جسده كذلك ولم يصب مقتله وكب جواد راشد ففر سليمان بن جرير حتى وصل العراق فأخبره بعض الناس أنه لقيه مقطوعة يده وبرأسه أثر الجراحات قد برئت. ولما توفي إدريس لم يترك ولدا مولودا إلا أنه ترك جارية مولاة من قائد البرابر اسمها كنزة حاملا منه في الشهر السابع من حملها وفي كتاب بحر الأنساب إدريس بن عبد الله لم يترك غير ابن واحد وبنت واحدة أما الابن فإدريس صاحب التاج ملك المغرب وأما البنت ففاطمة ولدت لمحمد بن يحيى صاحب الديلم عبد الله المحدث بالحجاز وأحمد. ومحمد هذا ابن عمها وهي أخت إدريس بن إدريس من أبيه وقد جمع راشد الناس بعد فراغه من دفن إدريس فأخبرهم أن إدريس لم يترك

ولدا إلا حملا بجاريته كنزة في الشهر السابع من حملها وقال لهم فإن أردتم أن تصبروا حتى تضع حملها فإن كان ذكرا ربيناه فإذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه تبركا بأهل البيت وذرية رسول الله ﷺ وإن كانت جارية نظرتكم لأنفسكم من ترضونه أهلا لذلك قالوا أيها الشيخ المبارك ما لنا رأي إلا ما رأيت فإنك عندنا عوض من إدريس تقوم بأمرنا كما كان وتصلي وتحكم بيننا بما يقتضيه الكتاب والسنة حتى تضع الجارية فإن وضعت غلاما ربيناه وبايعناه وإن

وضعت جارية نظرنا في أمرنا معها على أنك أحق الناس به لفضلك ودينك وعلمك، فشكرهم راشد على ذلك ودعى لهم وانصرفوا فقام بأمر البرابر حتى تمت للجارية أشهر حملها فوضعت غلاما أشبه الناس بوالده إدريس فأخرجه راشد إلى رؤساء البرابر حتى نظروا إليه فقالوا هذا إدريس بعينه كأنه لم يمت فسماه راشد إدريس باسم أبيه وقام بأمرهم وأمر البرابر حتى فطم وشب وأدبه أحسن أدب وأقرأه القرآن فحفظه وله من السنين ثمانية أعوام وعلمه السنة والفقه والنحو ورواية الحديث والشعر وأمثال العرب وحكمها وسير الملوك والرمي والسهام ومكايد الحروب فلما أدب في ذلك كله وكملت له إحدى عشر سنة أخذ مولاه راشد البيعة على قبائل المغرب فبويع له بجامع ويلي أهـ كلام الأنيس نقله في الدر النفيس. توفي رحمه الله سنة ثلاث عشر ومائتين وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة 213 هـ ودفن بمسجد الشرفاء بإزاء الحائط الشرقي وكان سبب وفاته أنه أكل عنباً فشرق بحبة منه فمات من حينه رحمة الله عليه فكانت أيام ملكه بالمغرب ستاً وعشرين سنة. وخلف من الولد اثنا عشر ذكراً أولهم محمد وعبد الله ويحيى وعيسى وإدريس وأحمد وجعفر والقاسم وعلي وعمر وداود وحمزة كذا في القرطاس وزاد ابن حزم الحسن والحسين. ومحمد الذي هو أكبر أولاد المولى إدريس وهو ولي عهده وقام بالأمر بعده كما أطبق على ذلك أهل التاريخ واتفقت عليه كلمة المشايخ ونسبنا يتصل بسيدي محمد هذا.

[ فصل في رفع نسب المؤلف ] فأقول: هذا العبد هو محمد أو أحمد الطاهر ابن شيخ الجماعة الشيخ سيدي عبد المعطي إدريس بن أحمد بن محمد بن عبد

المعطي بن علي بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عبد  
الموأي بن عبد الرحمن الغازي بن عَمْرٍو بفتح العين بن  
أَعْمَر بسكونها بن مولانا عامر المكنى بأبي السباع بن  
حريز بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن إدريس بن  
محمد بن يوسف بن زيد بن عبد المنعم بن عبد الواسع  
بن عبد الدائم بن عمر بن سعيد بن عبد الرحمن بن  
سالم بن عزوز بن عبد الكريم بن خالد بن سعيد بن عبد  
الله بن زيد بن رحمون بن زكرياء بن عامر بن محمد بن  
عبد الحميد بن علي بن عبد الله بن محمد بن إدريس  
بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسم المثنى بن  
الحسن السبط بن علي كرم الله وجهه وأمه فاطمة  
بنت سيد الأولين والآخرين...]

ومن قصور توات المشهورة القصر المسمى بقصر  
المطارفة وبه كانت وقعت معركة وملحمة كبيرة بين  
أهل توات والفرنسيين تكبد فيها الجيش الفرنسي  
خسارة كبيرة واستشهد فيها بعض المجاهدين من  
رجال توات الأبطال وبهذا القصر الكبير تلميذنا  
المخلص الأبر السيد صالح بن الطالب أحمد وقصر  
المطارفة هذا قصر من جملة قصور كثيرة يطلق عليها  
اسم دلدول ويشمل عدة قصور كالبركة  
واقسطن. وهناك ضريح الولي الصالح السيد فضيل  
والمشهور بالبركة والأسرار والأنوار  
والمعارف ويحكى أن الشيخ سيدي أحمد التيجاني لما  
زار هذا المكان المبارك، وجد بعض الأولياء  
المجاذيب ينادي ويقول من يشتري مني القطبانية  
بكذا من دينار فاشترها منه الشيخ التيجاني ]

وبقصر دلدول زاوية كبيرة قديمة تطعم الطعام للصادر  
والوارد وأبناء السبيل والضعفاء والمساكين يقال لها  
زاوية ابن الحاج أَعْمَر لها أحباس كثيرة على هذا  
الغرض الإحساني وما أكثر هذه الزوايا الحبسية في  
أرض توات صانها الله من التحريف والتبديل والتغيير  
والتنكير لشعائر الإسلام والدين الحنيفي ومن جملة  
فقهائها تلميذنا الأبر المخلص السيد محمد سالم بن  
المقدم ومن قصور توات أوقروت وهو عبارة عن  
مجموعة من القصور الكثيرة يسكنها الكثير من أخلاط  
الناس من شرفاء

وعرب ومرابطين ومواليهم وهم أهل فضل وكرم وديانة ومروءة ومحافظة على الدين والصيانة والمجد الرفيع ومحبة العلم وأهله وتعظيم الشرفاء وإكرامهم وفيهم شرفاء يقال لهم أهل كالي يرجع نسبهم إلى سيدنا إدريس على ما قيل لي وتظهر عليهم أمارات الخير والفضل والصيانة والتواضع كغيرهم من سكان توات ومن قصور توات قصر يقال له الواحدة وفيه ضريح الولي الصالح السيد إبراهيم ويوجد بهذا القصر رجل اسمه التيجاني يصوم الدهر وإذا رآه الإنسان لا يرى على وجهه أثر الصيام والرياضة بل يرى على وجهه النعومة والوضاءة وحسن الطلعة والوسامة كأنه يعيش دائما في رغد عيش وبسطة ورفاهية فلا شغل ولا ضعف ولا قتر على جسمه وقد قيل لي إنه لم يخلق رأسه منذ زمان ولا يظهر عليه طول شعر أكثر من العادة وقوته دائما على ما يحكى رغيغ من خبز الشعير ولا يخرج لأحد وقد ذهبت إليه فقابلني بأحسن مقابلة وخرج معي مع أنه لا يخرج مع أحد ولا يقوم له وتظهر عليه أمارات الصلاح والدين ولله في خلقه شؤون وقد جمع الله في هذه الأمة المحمدية من الخير الكثير ما افترق في غيرها من الأمم السابقة كما جمع في نبينا من الخير والأسرار والأنوار ما افترق في جميع الأنبياء والمرسلين وجمع في القرآن العظيم من المعاني والأسرار التي لا تعد ولا تحصى ما افترق في غيره من سائر الكتب المنزلة من عند الله تفضلا من الله ورحمة قال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ الإسراء: 88. أي ناصرا وقال في حق الرسول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: 4. وقال في شأن هذه الأمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ آل عمران: الآية 110. وقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ البقرة: الآية 143. أي خيارا قال الإمام البوصيري في ميميته:

بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا \*  
من العناية ركنا غير منهمد  
لما دعا الله داعينا لطاعته \*  
بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

وقال أيضا في همزيته: ولك الأمة التي غبطتها \*  
بك لما أتيتها الأنبياءُ

ومن قصور توات بل ومن مركزها الكبيرة تميمون  
وهي عبارة عن قصور كثيرة وبها قبائل مختلفة  
الألسن فبعضهم يتكلم باللسان العربي الفصيح ويسكن  
فيها محبنا السيد الحاج الشيخ بن المبروك  
البكري الزاوي وفيها تلميذنا المخلص السيد مامو  
الحاج محمد بن الحاج الهامل. وفي تميمون هذه  
سوق كبيرة تجلب لها أنواع السلع والتجارة وبها مركز  
الحكم الكبير في تلك الناحية وبهذا المركز العظيم تجار  
كرماء أسخياء يبذلون أعز مالهم في سبيل الخير  
والإحسان كأبناء الحاج أقاسم الذين أجرى الله الخير  
الكثير على أيديهم وانتفع كثير من الناس معهم في  
المعاملات ومن أبرز أولاد الحاج أقاسم السيد الحاج  
محمد الطباخ الذي فجر كثيرا من الفقاقير في أرض  
توات كلها وحفر الآبار في الصحاري والقفار حيث لا  
يوجد بها ماء ولا سكان فجراه الله عن المسلمين خيرا.  
وبارك في هذا

الفرع وأصله ومن ذرية الحاج محمد هذا الحاج عبد  
الكريم والحاج عبد العزيز الذي هو معنا في المغرب  
وحببنا الزعيم الكريم الصادق السيد الحاج عبد المالك  
أمنه الله من جميع المهالك والذي يَكُنُّ لنا المحبة  
والإخلاص وإننا لندعو بالخير والبركة وأن يبارك فيه  
وفي عمله وفي ذريته أمين. وأولاد الحاج أقاسم  
سكناهم الأصلي كان بمتليلي كما تقدم وانتقل الحاج  
محمد إلى تميمون وأقام بها للتجارة وفعل الخير مع  
جميع الناس وخدم أبناء الشيخ الكامل والولي الفاضل  
السيد الحاج بلقاسم وخدم تلك الزاوية بإخلاص وصدق  
نية حتى أدرك ما يتمناه في دنياه وقد أدرك في عصره  
من أبناء هذا الشيخ السيد الحاج محمد عبد الكريم  
وصاحبه وخدمه فدعا له ولذريته وإخوانه بالبركة ومن  
إخوان السيد الحاج محمد بن الحاج أقاسم السيد الحاج  
عبد الرحمن وله ذرية طيبون كرماء أفاضل ومن أبرز  
أولاد الحاج أقاسم السيد الحاج أحمد والذي كان يسكن  
بتيمي وكان من أهل الحل والعقد بها وله ذرية أماجد  
فضلاء صالحون مصلحون وبالجملة فأبناء الحاج أقاسم  
كلهم أهل خير وفضل ونفع للمسلمين حيثما كانوا



فبارك الله في هذا الفرع وأصله. ومن جملة التجار الأخيار الكرماء الأبرار الذين هم بتميمون الحاج محمد بن الطالب السوسي التقي النقي الكريم الأبر أحسن الله له ولذريته وبارك في سكان تميمون جميعا لأن سكان هذه الناحية كلهم على ديانة واستقامة واتباع للكتاب والسنة والمحافظة على الطهارة والدين الإسلامي وحفظ القرآن ومحبة العلم وأهله ومحبة آل البيت النبوي وهذه الصفات كلها في عامتهم وخاصتهم وكبيرهم وصغيرهم بدون استثناء ويوجد بتميمون قبر الولي الصالح الشهير محب النبي البشير سيدي الحاج أبي القاسم الذي ملأت أنواره وأسراره تلك النواحي القريبة والبعيدة وقد بني على ضريحه قبة شامخة كبيرة وتقام له زيارة فاخرة في شهر ربيع الأول النبوي من كل سنة تشد لها الرجال من جميع الأقطار والأمصار ولهذا الولي الصالح أنوار وأسرار ولا غرو فإنه محب الرسول وزاويته قائمة على المعروف والخير وإطعام الطعام وذريته معروفون ومشهورون بمحبة أهل البيت الشريف لا فرق عندهم بين الشريف الفقير أو الغني ولا الكبير أو الصغير وهم على ذلك إلى اليوم وقد شاهدنا ذلك منهم. ولقد كان في هذه الزاوية قبل هذه المدة القريبة. شيخ يقال له الشيخ السيد

محمد عبد الكريم الذي كان حبه لا يكاد يوجد ولا يملك مع الشرفاء شيئا ولا يدخر عنهم شيئا على ما يحكى بارك الله فيه وجراه عن آل النبي خيرا وبارك في هذه الزاوية وأهلها ونسب هذا الشيخ يرجع إلى سيدنا عمر بن الخطاب وقد كانوا قبل سكناهم في هذه الزاوية يسكنون بتادلة بالمغرب يعرفون بالشرقيين والشيخ سيدي الحاج أبي القاسم هذا كان يقرأ بتادلة ومن نسبهم الولي الصالح سيدي محمد المعطي بن صالح صاحب الذخيرة المتوفى سنة ثمانين ومائة وألف هجرة 1180 هـ وأهل هذه الزاوية من أفضل وأجود الناس وأكرمهم خلقا وخلقا وتواضعا وسخاء وبهذه الزاوية توجد تلامذة لنا كالسيد الحاج عبد القادر بن السيد محمد وابن عمه السيد محمد فتاح ابن الولي الصالح السيد الحاج عبد القادر وكذلك بلقاسم بن السيد الصافي اه. وفي تلك القصور المحيطة

بتميمون يوجد تلامذة كثيرة وبالجمله فسكان هذه المدينة ومن حولها على جانب كبير من الفضل والخير الكثير فجزاهم الله عن سائر المسلمين خيرا ويوجد في تلك الناحية الكثير من الزوايا التي تفعل الخير وتطعم الطعام للفقراء واليتامى وأبناء السبيل ولنا بها تلامذة من بينهم عبد القادر وعبد العزيز بن مسعود باعلاملال ومن تلك الزوايا زاوية بدریان زاوية التصوف والبركة والخير والإحسان والبر والطاعة وعبادة الرحيم الرحمن وكان بها الولي الصالح السيد عبد الرحمن وكان يحكى عنه من الكرامات التي تبهر العقول والأذان يحكى عنه أنه كان في كل يوم تمرأمامه المدن والقصور فيسمي القصور وهي تمر به واحدة بعد واحدة ويسمي الأعيان من أهل تلك القصور والمدن ولا زالت هذه الزاوية عامرة إلى اليوم وبها تلميذنا الأبر الصالح الأغر الذهب الإبريز السيد محمد بن عبد العزيز أصلحه الله وهداه وفتح عليه وعلى يديه وعلى سائر تلامذتنا أجمعين ويوجد في هذه الناحية الشمالية من توات قصور كثيرة عامرة بالأولياء والصالحين وخيار عباد الله الصالحين من الأحياء والأموات وبها كثير من تلامذتنا الأبرار المجتهدين في تحصيل العلم النافع وبثه وتبليغه للمتعلمين والناس أجمعين ومن أبرز قصور تلك الناحية قصر يسمى يفاتيس ومنه تلميذنا السيد عبد القادر بن الحاج الحسن وأبناء ابن يحيى وغيرهم ممن يطول سرد أسمائهم نسأل الله ونرجو لهم من النجاح والتوفيق والهداية والنصر والظفر وأن يجعلهم صالحين مصلحين حتى يكونوا من العلماء العاملين المرشدين الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم والأمن من كل حسود ناقد ظالم ويوجد بهذه الناحية زوايا كثيرة كزاوية الولي الصالح المسماة بزاوية الدباغ ومن أشهر أولياء الله الكرام ضريح الولي الصالح السيد الحاج أبو محمد الكائن بتيلكوزة وكذلك ضريح الولي الصالح سيدي منصور بوكركور وحوله قصور كثيرة بها رجال من المرابطين والأشراف والعرب الذين يعجز اللسان والقلم عن كرمهم وجودهم وإحسانهم وشجاعتهم النادرة وفتوتهم وإكرامهم لأهل العلم والشرف ومحبة العلم وأهله ونصرة الدين والغيرة عليه والدفاع عنه وعن المقدسات

الإسلامية والغيرة على الحرمات من زوجات وبنات وأخوات وغيرهن من الأقارب وسائر المسلمات المسلمات وهذه الخصلة المحموده شرعا وطبعا وعادة من صفات أهل ذلك القطر كله فهم معروفون بذلك فقد اشتهر سكان أهله بهذه الخصال الحميدة ألهمهم الله ما فيه الخير والإحسان من قديم الأزمنة الماضية بتعظيم العلم والعلماء واحترام الفضلاء والكرماء والاشتغال بكل ما يهمهم ويعنيهم وترك ما لا يعنيهم واتباع سبيل أهل الصلاح والفلاح كما أنهم موسومون بالخير والحياء والوقار والوفاء بالعهود والعفاف والتدين والاقتصاد في المعاش واللباس والسكنى على هدي السلف الصالح رضوان الله عليهم بذلك اشتهروا في القديم والحديث وهم من معدن العلماء الأعلام والأولياء العظام المشهورين بالتوقير والاحترام وتشهد بذلك المزارات المحجوجات من جميع الأقطار البعيدة والأخبار المتواترة على لسان الخاص والعام كل هذا يشهد لهم على الصدق والاحترام التام لأولياء الله الكرام وها هنا قد انتهى ذكر ما تيسر لي من ذكر بعض أولياء الله الصالحين الذين هم السبب في تأليفي لهذا الكتاب المبارك وأن السبب القوي الذي حملني على التهجم على التأليف مع عدم أهليتي هو الطمع في كرم الله تعالى وفي إبقاء الأجر بعد موتي لما ألفته من العلوم النافعة الدينية وكثرة الأجر لمن دل على الهدى وحذر من الضلال. روى الديلمي في مسنده مرفوعا: {ما من رجل يترك ورقة من العلم إلا تكون له تلك الورقة سترا بينه وبين النار وإلا بنى الله له بكل حرف مكتوب في تلك الورقة مدينة في الجنة أوسع من الدنيا سبع مرات} وفي الحديث {حضور مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو} وسئل ابن المبارك عن الناس فقال لهم العلماء. وعن الملوك فقال الزهاد وعن السفلة فقال من يأكل بدينه. وفي المعيار سئل مالك عمن قالت لزوجها يا سفلة فقال لها إن كنت سفلة فأنت طالق فأجاب إن لم يكن طالب علم فهو سفلة لأنه روي عن رسول الله ﷺ أنه قال {إن استرذل الله عبدا حطر عنه العلم والأدب}. قال الإمام النووي في رياض الصالحين قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}. النحل: 125. وَقَالَ

تَعَالَى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} المائدة: 2. وَقَالَ  
تَعَالَى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ} آل عمران:  
104. وعن أبي مسعود عُقْبَةُ بْنُ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ الْبَدْرِيِّ  
، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: (مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ  
أَجْرِ فَاعِلِهِ) رواه مسلم. وعن أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ  
اللَّهِ: قَالَ: {مَنْ دَعَا إِلَى هَدْيٍ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ  
أَجْرِ مَنْ اتَّبَعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَرٍ مِثْلُ آثَامِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ  
دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْوِزْرِ مِثْلُ آثَامِهِمْ لَا يَنْقُصُ  
ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا} رواه مسلم أيضا وعن سهل بن  
سعد الساعدي: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ: قَالَ: لِعَلِيٍّ وَكَرَّمِ وَجْهَهُ  
يَوْمَ خَيْبَرَ {أَنْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ  
ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَحِبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ  
حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا  
خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ} رواه البخاري ومسلم.  
ختمت كتابا فيه نشر محاسن \* لها نشر  
مسك الفقر بالطين شامل  
تحلى بها غر ملاح أحبة \* وجيهون سادات  
كرام أفاضل  
غياث البرايا في الوجود بجاههم \* تزال  
البلايا بالأنام وسائل  
شموس الهدى أهل الندى مذهب الردى \* جلاء  
الهدى سم العداة يقابل  
سيوفهم عند الوغى ورماحهم \* من الله  
أسرار لهم وفضائل  
يحارب مولاهم تبارك عنهم \* ومن ذا  
لحرب الله جل يقابل  
فقد صح أن المرء مع من أحبه \* فأكرم  
بذي حب مع الحب نازل  
وإني لعمرى قاصر ومقصر \* بحبي وما  
فيهم من المدح قائل  
مقر بأني لست أصلح خادما \* لخادمهم  
من حلية القوم عاقل  
وفي هذا الكتاب ما يكفي ويشفي دون ملل ولا خلل  
كما قيل:  
جميع الكتب يدرك من قراها \* ملال أو  
فتور أو سأمه

سوى هذا الكتاب فإن فيه \* بدائع لا تمل  
 إلى القيامه  
 ولله در القائل إذ يقول:  
 عليك به فاقراه ما اسطعت تلغي ما \* يسرك  
 في الدارين يا أيها القاري  
 وبالله سل لي من الله رحمة \* تبدل  
 بالحسنى مساوي أوزاري  
 ولله در القائل إذ يقول:  
 بالله إن نظرت عيناك ما كتبت \* يد الفقير إلى  
 غفران مولاه  
 فاقراً له مهدياً أم الكتاب وقل \* الله يجعل دار  
 الخلد مأواه  
 ولله در القائل إذ يقول:  
 يموت قوم فيحيي العلم ذكرهم \* والجهل  
 يلحق أحياء بأموات  
 [ خاتمة: ختم الله لنا بالحسنى والزيادة  
 [ لعلك يا أخي تجد في هذا الكتاب بعض ما زل به القلم  
 أو سها عنه القلب فأني أطلب مسامحتك فيه أيها  
 القارئ ولا تتخذه سبيلاً للنقد والاعتراض فأني أرجو  
 من الله تعالى قبلك أن يسامحني به فسامحني أنت  
 بإصلاح إن وجدت عيباً كما قيل:  
 وإن تجد عيباً فسد الخلا \* فجل من لا  
 عيب فيه وعلا  
 وتذكر قوا القائل:  
 وما أبرئ نفسي إنني بشر \* أسهو وأخطأ  
 ما لم يحمني قدر  
 ولا ترى عذراً أولاه بذي زلل \* من أن يقول  
 مقرر إنني بشر  
 ولا تسارع إلى العيب وتذكر قول العبقري: (وزاعم  
 الخطايا وهو المخطي).  
 وتذكر قول القائل:  
 ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة \* أن لا  
 يرى ضوءها من ليس ذا بصر  
 وقال الإمام البوصيري:  
 قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد \* وينكر  
 الفم طعم الماء من سقم

وكما قال القائل:

ومن يعترض والعلم عنه بمعزل \* يرى النقص  
في عين الكمال ولا يدري  
وانظر إلى هذا الكتاب نظر المتصفح الذي يريد الانتفاع  
به فيحصل لك بذلك النفع العظيم والأجر الكثير إن  
شاء الله تعالى فتشكر صنعي ولا تكفر وتعترف  
معروفي ولا تنكر واهد إلي من دعواتك الصالحة في  
حياتي وبعد مماتي ما يكون إن شاء الله منعوتا بالقبول  
فإن ذلك من حسن المكافأة وذلك هو المظنون منك  
والمأمول ولا ألومك إذا لم تفعل ذلك إذا لم تسارع  
إلي بالاعتراض

وهذا آخر ما يسر الله من ذكر بعض أولياء  
الله الصالحين بأرض توات وإني  
بحمد الله تعالى ومَنِّه وكرمه من  
المعتقدين فيهم والمستغِيثين إلى الله تعالى  
بهم وبسائر عباد الله الصالحين  
أجمعين ولا سيما سيدنا ومولانا  
محمد ﷺ لقضاء الحاجات الدنيوية

والآخوية فإنه

باب الله وأقرب الوسائل إليه

وهو الوساطة

العظمى الوحيدة في سعادة

الدنيا والآخرة

جعلنا الله من المحشورين في

زمرتهم

وغفر لنا ولوالدينا

وأشياخنا

وأحبابنا وأولادنا وطلبتنا

ولمن

سبقنا بالإيمان وآخر دعوانا

أن الحمد لله

رب العالمين

\*\*\*\*\*

تم بحمد الله تعالى كتاب

نسيم النفحات

ويليه:

حديث جابر

